



الثقافة

مجلة فكرية جامعة

تصدر في دمشق تأسست عام ١٩٥٨ م

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطبعة عكاش

ربيع آخر ١٤٢٢ هـ

تموز ٢٠٠١ م

الثقافة

أدبية فكرية جامعة

تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

FONDATEUR ET REDACTEUR

EN CHEF DE LA REVUE AL

THAKAFA

ص . ب / ٢٥٧٠ /

هاتف : ٢٣٢٣٠٦١

دمشق

P.O. BOX: 2570

TEL_ FAX : 2320887

هيئة المستشارين :

د. عبد اللطيف اليونس

د. ابراهيم كيلاني

د. أمين أسبر

د. عمر النص

د. سمر روجي الفيصل

أ. عبد الكريم ناصيف

أ. عبد الغني العطري

أ. جابر خير بك

أ. عصام الحلبي

أ. نعمان حرب

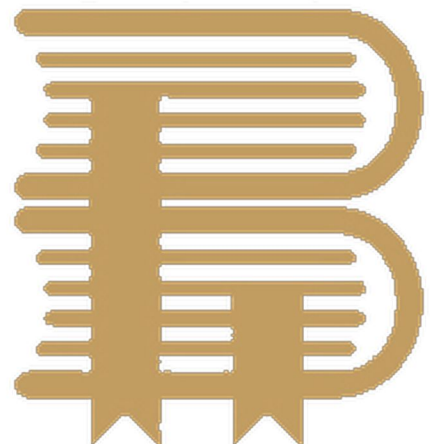
أ. محمد خالد القطمة

أمانة التحرير : سكينة عكاش الغبرة

شبكة كتب الشيعة

ربيع آخر ١٤٢٢ هـ

تموز ٢٠٠١ م



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

| | | |
|----|-------------------|---|
| ٣ | عبد الغني العطري | المتنبي في مرآة شفيق جبري |
| ٦ | محمد موصللي | زعاق الدهر |
| ٩ | ناجح خلوف | مشكلات المثقف العربي ودوره في تقدم المجتمع |
| ١٩ | ياسر برازي | نهضوا وقد صدح الآذان |
| ٢١ | أحمد شوحان | محمد عدنان مراد بين الثقافة والدبلوماسية والرحلات |
| ٢٨ | د. محمد الحسواني | فريدي النصر نصرا يا دمشق |
| ٣١ | د. محمد جمال طحان | حاسة السعادة عند عادل العوا |
| ٣٥ | وليد حجار | خمسون عاما ما انطفأت |
| ٤١ | محمد الزينو سلوم | دور الشعر في النضال الوطني حتى نيل الاستقلال في سورية.. |
| ٥١ | غسان كلاس | اخشع يا زمان نفثات وطنية وجدانية |
| ٥٤ | أحمد حسن الخميسي | وقفة مع كتاب مساجد القيروان للدكتورة المهندسة نجوى عثمان |
| ٥٨ | راتب عبد الواحد | الرشد في المفهوم الإسلامي |

المتنبي

في

مرآة

شفيق

جبري

بقلم:

عبد الغني العطري

لم أكن قد قرأت المحاضرات
الواحدة والعشرين، التي ألقاها شفيق
جبري على طلابه في كلية الآداب، خلال
العام الدراسي البعيد ١٩٢٩ - ١٩٣٠. ثم
جمع شملها في كتابه الرائع عن (المتنبي).
لم أقرأ هذا الكتاب لا لصدور طبعته
الأولى، فقد كنت دون سن المطالعة وفي
مرحلة الدراسة الثانوية، خيل إلي أن ما
نتلقاه على مقاعد الدراسة يكفي لإشباع
نهم الطالب الفتى من إبداع الشعراء
العشرة، أولئك الأعلام، الذين كنا ندرس
أعمالهم، كنماذج للأدب العربي في مختلف
العصور.

بعد السنوات الطوال من صدور هذا
الكتاب ورحيل صاحبه في العام ١٩٨٠، قام
الأستاذ المربي رؤوف جبري، شقيق أديب
الشام الراحل، بإعادة طبع كتاب (المتنبي).
وفعل مثل ذلك بسائر أعمال أخيه،
المخطوطة والمطبوعة. وأتيح لي في هذه
المرة، أن أقرأ هذا الكتاب، بكثير من
الروية والتأمل، فوجدت فيه من المتعة
والفائدة، أكثر مما توقعت وسمعت.

قبل كتاب شفيق جبري وبعده،
صدر عن المتنبي، أعداد لا حصر لها من
الكتب، والدراسات، بأقلام أدباء وشعراء،
في شتى أقطار الوطن العربي، غير أن
الدراسة التي نحن بصدها، لا أحسب أن
واحدا ممن تناولوا أبا الطيب بالدراسة
والتحليل استطاع وضع خير منها.

محاضرات جبري هذه تتناول في تضاعيفها أحاديث سلسلة وشائقة.. عن وطن المتنبي، ونسبه، وعروبته. كما تحدث بأسهاب في موضوع دراسته. ونبوته، وحياته، وفلسفته، وملازمته لسيف الدولة الحمداني، طوال تسع سنوات. وتنتهي بالحديث الرائع عن عبقريته.

كل فصل من هذه الفصول، يتناوله المؤلف، الدراسة العميقة، والتحليل المركز، والشواهد التي يقطفها من هذه القصيدة أو تلك.

لنقف على سبيل المثال، عند من يشكون بعروبة المتنبي ووطنيته، ولنقرأ ما يقول المؤلف في هذا الصدد:

.. وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان، بأرض فارس، وهو من متنزهات الدنيا، مشهور بحسنه وكثرة شجره، وتدفق أمواهه، وكثرة أنواع طيره؟ إذا أشرق المجزون من رأس تلة

على شعب بوان استراح من الكرب تغنى به الكتاب والشعراء، فوصفوا فيه جداول ماء أرق من دموع العشاق، وأبرد من نفور الأحباب، ووصفوا ترقرق آذيها، وتدفق تيارها، وتكسر حبابها، من خلال زهر الرياض.. ما قولكم في شاعر يصف هذا الممتنزه ويقول فيه:

تلاعب فتنه لو سار فيها

سليما، لسار بترجمان

ويخلص إلى القول مستدركا:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان

وما هذا الفتى العربي، إلا أبو الطيب نفسه.

ويقول المؤلف في مكان آخر: إن المتنبي كان يباهر بكل شيء عربي، يباهر بلسان العرب، وبتيجان العرب، وبسيفوف العرب، وصحبته هذه العاطفة الشريفة، حتى آخر نفس من أنفاسه الزكية. لما مدح ابن العميد في أرض فارس، وهناه بالنيروز، مرح فيه عروبية اللسان قبل كل شيء وقال:

عربي لسانه فلسفي

رأيه فارسية أعياده وفي حكايا هذه الدراسة المتكاملة يقول شفيق جبري إن المتنبي كان كثير الإدعاء دائم الإشادة بنفسه، (كلمة أنا)، والثناء على النفس، تتردد في ثنايا شعره باستمرار: لنستمع إلى قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

وكذلك قوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وقوله:

أنا صخرة الوادي إذا ما ندهت

وإذا نطقت فأنني الجوزاء

ويصف نفسه بأنه المبدع لكل شيء

ويقول:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله

إذ القول قبل القائلين مقول

وفي الحديث عن عبقرية المتنبي:

يقول المؤلف الكبير أن المتنبي ينظر إلى

الحب، نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا
الحب، فلا يكاد يخفي عليه أمر من أموره.
ينظر إليه نظر الفيلسوف، الذي يعلم أن
المرء يعشق عرضاً، من دون أن يدري
لماذا يعشق، ولكنه إذا عشق رحل عقله:

وما هي إلا لحظة بعد لحظة

إذا نزلت في قلبه رحل العقل

ويتناول جبري موضوع الوصف

والتصوير عند أبي الطيب.

ويقف ملئاً عند وصفه للحمى،

التي أحبته وزارته مراراً. ورغم أنها

تستحي، فلا تزوره إلا في ظلام الليل.

ويبذل لها المطارف والحشايا، فترفضها،

وتأبى الإقامة إلا في عظامه، وتجعل منها

مقراً ومستقراً:

وزائرتي كأن بها حياء

فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا

فعافتها وباتت في عظامي

ويخلص المؤلف إلى الحديث عن

مذهب أبي الطيب في الوصف، فيقول:

"إذا برز المتنبي فإن تبريزه في

وصف المعارك، وإذا خلد فإنما يخلد من

هذه الناحية ومن ناحية الحكمة، فإذا كان

المتنبي شاعر الهجاء، فإنه شاعر الحكمة

والمثل، فقد بلا أخلاق الناس، وامتحن

الدنيا وعرض الحياة، فاستنبط من هذا كل

روائع الحكمة وسوائر الأمثل. فلا خوف

على خلود عبقريته، ما دمنا نحتاج في كل

عصر من العصور إلى شكوى الدهر والدنيا

والناس، وإلى الموعظة والاعتبار، وإلى ما
يجري مجرى هذه الأمور وأشباهها. لا
خوف على خلود هذه العبقرية، مادامت
العربية لغة كثير من الخلق، وما دام أهل
هذه اللغة يتمثلون بالأبيات التي تشتمل
على صور الحياة بمجامعها: كرمها
ولؤمها، وحلوها ومرها، وعزها وذلها،
وراحتها وتعبها، وخيرها وشرها، وأملها
وبأسها.

ويختتم كتاب المتنبي في طبعته

الجديدة بالقصيدة الرائعة التي ألقاها شفيق

جبري في المهرجان الذي أقامته الجامعة

الأميركية في بيروت في حزيران من عام

١٩٣٥ إحياء لذكرى المتنبي. وتعتبر هذه

القصيدة من روائع شاعر الشام وأديبها

الكبير. وقد عبر فيها عن مبلغ إعجابه بـ

(مالك الدنيا وشاغل الناس) يستهل شفيق

جبري رائعته بقوله:

خضل الظل غضة أعواده

أرفيف الربيع أم أعياده؟

أتراه قصيدة في فم الدهر

— ر يغني بشعرها أفراد

ويخلص إلى القول:

أيها الشاعر الذي ملأ الدنـ

يا دويلاً مماته وولاده

كل نبت إلى الحصاد ولكن

شعرك الغض لن يحين حصاده

ويبلغ عدد أبيات هذه الرائعة سبعة

وستين بيتاً.

زعاق الدهر

محمد موصلي

يُومِيءُ الطرفَ والفؤاد يَخُونُ
يا لِسَهمِ تَن منهُ العيون
كَم تَبَدَّى عَلى لِسَانِكَ قَولُ
وَتَمَاهى وَسَاوَرَتَكَ الظَنُون
قَد جَفَاكَ الرَقَادُ فِي كُلِّ لَيْلٍ
وَتَشَكَّتْ مِنْ السَّهَادِ الْجَفُون
إِنْ تَرَاعَى الصَّبَاحُ تَزْدَادُ حَزَنًا
حَيْثُ يَهْفُو إِلَى الْحَزِينِ الْحَزِينِ
يُبْحِرُ الْخُوفُ فِي جَفُونِ فَقِيرٍ
قَد تَلَوَّى وَأَرْهَقَتْهُ السَّنُون
وَيَمُوتُ الْأَتِينُ فِي الصَّدْرِ حِينًا
وَيَلْفُ الدَّمُوعَ صَمْتٌ دَفِينِ
مَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ
مَا عَلا فِي فُضَائِهِ الشَّرِبِينِ
كُلُّ جَذَعٍ يَمْدُ فِي الْأَرْضِ جَذْرًا
وَأَشْرَأَبْتُ مَعَ السَّنِينِ الْغَصُونِ
هَلْ تَنَاسَى الْوُدَادَ إِلَّا حَقِيرٌ
أَلْفَ الْوَحْلِ وَاحْتَوَاهُ الطَّيْنِ

يَتَجَنَّبُ عَلَى الْمَرْوَةِ نَذْلَ
كُلِّ شَيْءٍ بِمَا لَدَيْهِ يَهْوَن
رَضِعَ الْعَهْرُ مِنْ ضَرْبِ صَارَتِ
بَيْنَ فَوْدِيهِ تَسْطِيلُ الْقُرُونِ
يَعْرِفُ الثُّغْلُ مِنْ هَرِيرِ شَوْقِ
وَاصْفَرَّ رَارِ يَنْمَ عَنْهُ الْجَبِينِ
كَمْ صَدِيقٌ تَوَرَّمَ الْغَدْرُ فِيهِ
سَحَّ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْغَسْلَيْنِ
بَطَأَ الصَّدْرُ وَالرَّغْبَانِ دَهْرٌ
أَسْعَمَ الْوَجْهَ وَالْيَدَيْنِ حُرُونِ
أَسْبَلَ الشَّوْكَ فَوْقَ رَأْسِي وَصَارَتِ
فِي نَوَامِي الْفَوَادِ تَنْمُو الشَّجُونِ
تَحْتَ نَدْفِ الصَّعَابِ أَحْمَلُ جَرْحاً
قَدْ يَلِينُ الْمَحَالُ حِينَ يَلِينُ
كَمْ أَطْحَاحَ الصَّوَابُ يَوْمًا بَعْقِلَ
وَتَسَامَى بِغِيَّهِ الْمَأْفُونِ
لَمْ تَنَادِ الْخِرَافُ بِالذَّبْحِ يَوْمًا
أَوْ تَخَلَّتْ عَنْ طَعْنِهَا السَّكِينِ
لَا تَكُنْ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا قَوِيًّا
يُرْكَبُ الْبَحْرُ إِنْ عَلاهُ السَّكُونُ
يَصْبَحُ الرَّأْيُ لِلْحَلِيمِ عَقَابًا
حِينَ يَطْفَى عَلَى الْعُقُولِ الْجَنُونِ

إن للحق صولةً حين يصحو

من رقادٍ ويصرخ المسكين

حين يصو الزمان يعبت جفد

فاغر الشذق أحرق رهـدون

لي على الأفق من ندائي أعاصير

ومزن مع الرعود هـتون

انظري كيف طوقتني رمال الشـط

شوقاً وصفق الدلفين

انظري كيف عانقتني أزاهير

البراري وغرد الحسون

راقبي مسح الأفاعي على كل

دروبٍ مثيـاء فيـها المنون

مضجعي فوق صخرة ألبدت في

القفر واجتاح عريـها كانون

سخرت من غارق الخـز يرتاح

عليـها مختـب عـنـن

ما حذاري إذا العقارب سـارت

وحذاري متى وأين تـكون

لن يذل التراب مادام يحوي

في ثناياه صادق وأمين

مشكلات

المتقف

العربي

ودوره في

تقدم

المجتمع

بقلم المحامي:

ناجح خلوف

لو رَجَعْنَا بأفكارنا إلى بداية
النصف الثاني من القرن العشرين، أي لعام
١٩٥٠، حيث كانت الحرب العالمية الثانية
قد حطت أوزارها، وقد تأسست هيئة الأمم
المتحدة، التي تعهدت بميثاقها معالجة مشاكل
الدول بطريقة سلمية، منعاً لتكرار الحروب
والويلات. ثم صدر الإعلان العالمي لحقوق
الإنسان، الذي ساوى بين الناس في الحقوق
والواجبات، وبين الأفراد ذكوراً وإناثاً،
بغض النظر عن الجنس واللون والعرق،
واللغة والأقليم والقومية وما يتبع ذلك..

لو رَجَعْنَا إلى ذلك الميثاق
والإعلان، لَقَلْنَا وخاصةً في تلك الفترة حتى
أواسط السبعينات، لقد نزلت العدالة من
السماء إلى الأرض، ودخلت المسرة قلوب
الناس، وساداً على الأرض السلام. إنه
عصر الإنسان الجديد المتحضر، عصر
انتصار الفلسفة الإنسانية، عصر الحق
والعدل والسلام.

نعم هكذا ظن أكثر الفلاسفة
والمصلحين والسياسيين والجماهير الشعبية
أيضاً، فاستبشروا خيراً، وهلّوا للتحرر
والحرية والديمقراطية، وأملوا بعهد جديد،
سيجعل من الإنسان قيمة عليا لا تدانيها قيمة
أخرى، وسيصبح العيش رغداً والحياة
جميلة، ويعم النعيم والرخاء العالم، حيث
ينتفي العذاب والألم، وتلغى كلمة الحروب
من القاموس. كان كل يوم تطلع فيه الشمس
تتقدم البشرية خطوة نحو النور والتقدم
والحضارة. وعم التفاؤل الناس جميعاً،
وكانهم خرجوا من كهف أفلاطون المظلم

إلى النور، فرؤوا الحقيقة بأجلى معانيها.
وهكذا كان شعورهم.

ولم يكن يخطر ببال أحد من هؤلاء
الناس، أن أياماً سوداء قادمة، تحمل معها ما
هو أشد من الحرب، تحمل الطاعون وتطفيئ
الشمس، تخف ضوء القمر وتذل وتقتل
البشر دون حساب، كما حدث في أواخر
القرن العشرين، وهو الآن مستمر بوحشية
شرسة ولا يزال في فلسطين والعراق
ويوغسلافيا وأفغانستان، وفي دول أخرى
كثيرة.. فالويل والثبور وعظائم الأمور
لأبناء البشرية جمعاء من الغول الأمريكي،
ومن يماشيه، والذي لم يكن انتصاره
بالحسبان، ولم يكن أحد يتوقع منه كل هذه
الشرور التي يوقعها في العلم، وخاصة
بشعوب العالم الثالث المستضعف. ذنب يأكل
شاة..

إني أوجه كلامي إلى المتقف
العربي، الذي يعتبر حادياً للجماهير العربية
وقائداً لمسيرتها، وموجهاً لها، وهو الدليل
العاقل الذي يعرف أكثر من غيره سواء
السبيل، من أجل النهوض بأمتة وشعبه
وطنه نحو مصاف الأمم المتحضرة.
فبالعلم وحده ترقى الشعوب وتتقدم الأمم.
قال الشاعر:

بالعلم يرقى كل شعب للعلا

وهو الركيزة للحضارة في الأمم
إنني أتناول في هذا المقال مشكلات
المتقف العربي، ودوره في تقدم مجتمعه
ولتوضيح هذا الموضوع لا بد أولاً من
تعريف معنى الثقافة، وكيف يصبح الإنسان

متقفاً، وما هو الهدف من ذلك وحاجته إليها؟
وكيف يستفيد من ثقافته ويسخرها من أجل
مصلحته، ومصلحة الوطن والإنسانية؟ وما
هي العوائق التي تعترض طريقه في سبيل
تحقيق تلك الأهداف، وكيفية التغلب عليها،
ليؤدي رسالته، ويقوم بمهمته في سبيل
مجتمعه؟ والسير به نحو العلم والحضارة
والعصرنة، ليساهم في بناء مجتمع حديث،
وحضارة راقية، تكون فخراً لأمتة، ومجداً
لوطنه.

المتقف لغة: هو الإنسان الذي يجيد
الكلام، ويحذقه ويفهمه بسرعة، وهو
المتكمن من العلوم والفنون والآداب (هذا ما
جاء في معجم المنجد).

أما الثقافة فهي مادية وروحية،
فالثقافة المادية هي جملة الخيرات المادية
ووسائل إنتاجها، والثقافة الروحية هي كافة
أشكال الوعي الاجتماعي من فلسفة وعلم
وأخلاق وفن وحق، وما في حكم هذه
المفاهيم.

والمتقف الحقيقي هو الذي يدرك
 ويفهم حقائق القوانين التي تتحكم في عالم
المادة والمجتمع والفكر والسياسة، ويعمل
على التأثير فيها من أجل التحكم بها
وتغييرها والسير بها لصالح الإنسان، كفرد
ومجتمع ودولة، ومن أجل الإنسانية وسيادة
الحق والعدل والخير والسلام، لمصلحة
هؤلاء جميعاً.

والمتقف - أيضاً - هو الذي يقول
(نعم) للحقيقة و (لا) لغيرها، هو المخلص
لمبدئه ولمنظمته السياسية والاجتماعية،

والذي ما ينفك ينفذها باستمرار، لينقيها من كل شائبة تشوبها أو عيب يصيبها، لأنه بانتقاده لها يطورها وينضجها ويكملها، ويحافظ بذلك على حريته تجاهها، لا أن يبقى عبداً لها يؤيدها بشكل مطلق، وفي كل حين وباستمرار، فيصبح ذا عقلية متجبرة، متخلفة عن الحقيقة التي تنمو باستمرار، كشجرة خضراء وارفة الظلال. وإذا لم يضع المتقف نفسه موضع محاكمة كما يحاكم الناس، فليس هناك من حرية أبداً.

وبقدر ما يحصل المتقف من معرفة في تلك الميادين وبقدر ما يمارسها ويطبقها، بقدر ما يحقق أهدافه وغاياته، وكلما اقتربت الممارسة من النظرية كلما تجلت الحقيقة، وكان تأثيره كبيراً ومفيداً وناجحاً، ويقال عند ذلك متقف حقيقي بارز وعظيم.

كيف يصبح الإنسان متقفاً؟

يولد الطفل صفحة بيضاء، لا يحمل شيئاً من العلم والثقافة، لكنه يحمل استعدادات وقوى تختلف من طفل إلى آخر نتيجة الوراثة، والعوامل الأخرى المكتسبة التي تؤثر فيها الظروف بدءاً من تلقيح البويضة مروراً بظروف الحمل ثم الولادة، ثم يأتي دور الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع الكبير. وهكذا يبدأ تكوين الإنسان جسدياً وعقلياً، فيتعرف إلى أمه وأبيه وأخوته ثم أقربائه فأبناء محيطه.. فيتعلم اللغة أيضاً، بدءاً من بساطتها حتى آدابها، وكذلك العادات والتقاليد وما إلى ذلك من أمور كثيرة تؤلف شخصيته إلى أن يكتمل نموه، ويبلغ الرشد، ضمن هذه الظروف

تتبلور تلك الشخصية وتتميز أيضاً عن غيرها، وهكذا كل فرد من أفراد المجتمع ينفرد بشخصية تختلف عن الأخرى للأسباب المذكورة، وإن تشابهت شخصيات مجتمع معين، فهي تختلف في كثير أو قليل عن شخصيات مجتمع آخر. فللغربي شخصيته المميزة عن شخصية الأفريقي والروسي والأسترالي، نظراً لاختلاف مزايا تلك المجتمعات بعضها عن بعض وهذا أمر طبيعي.

وهكذا يبرز دور الأسرة في تربية أبنائها، ثم تشترك المدرسة في ذلك وذلك للمناهج المدرسية والمعلمين والمربين وللمواضيع والبحوث التي تدرس، فهي كلها تلعب دوراً أساسياً في تثقيف الإنسان، وللجهد الفردي - لكل شخص - دور هام جداً في تكوين ثقافته وشخصيته المميزة.

والمتقف يستفيد من ثقافته في خلق شخصية متميز ومتزنة وعارفة، فينعكس ذلك في سلوكه الخاص والعام، ومع الناس بصورة إيجابية، ويكون قدوة للآخرين، ولأبناء مجتمعه ووطنه، فيساهم في نجاحه وتقدمه.

وهؤلاء المتقفون، وحدهم مسؤولون عن قيادة الوطن، ومصلحة الأمة والقومية، وهم خط الدفاع الأول عنها، وعن قيمها ومثلها ومجدها، فإن كانوا متقفين حقيقيين - كما ذكرت - تقدم الوطن وازدهر، وإن تخالزوا عن مهامهم وانحرفوا عن سواء السبيل، وكان مصير الأمة التخلق

والضعف، والقهر والذل وربما الزوال.. فقد زالت أمم كثيرة عن وجه الأرض، وتكونت أمم كثيرة أيضاً.

ربما يعترض المتقف على ما حملته من مسؤولية. قائلاً:

[إن] مُسلّم بكل أقوالك، وما جئت به من تحليل، ومقدمات وما أسندت إليّ من مسؤولية، لو لم تكن هناك مشكلات جمّة كثيرة، تقف في سبيل القيام بالدور الرائد، والحرية والديمقراطية، وما إليّ ذلك، لكن الصعاب لا تحصى ولا تعد، كلّها تحوّل دون الغاية المرجوة، أو على الأقل تثبط الهمة دونها وإنني سأوضح أهمّها:

- فسيادة النظم الاستبدادية في البلاد العربية- إلّا أقلّها- ، فعلى رأس كل نظام حاكمٍ أوجد مستبذ، له الكلمة الأولى وأخيرة. فهو يرى نفسه مميزاً عن أبناء شعبه ولا يقدر القيم الإنسانية، جاء إلى الحكم غصباً عن إرادة الشعب، وجبراً عنه، أما بالقوة، أو بالمرأوة والاحتيال، وفي كل الأحوال يأتي بالقوة مهما تكن الأساليب، ومهما تعددت الطرق والشكليات، وبالتالي فإنظمة القوة هي شريعة الغاب، التي تناساها العصر، وأصبحت لدى أكثر أمم الأرض تراث الماضي البعيد، فقد عرفت الشعوب الحيّة- كاليونان مثلاً- الحكم الديمقراطي قبل الميلاد، وجاءت الثورة الأمريكية والفرنسية فنشرت مبادئ الحق والعدل والحرية والمساواة في أقطار الأرض، وسادت الحرية والديمقراطية لدى أكثر شعوب العالم، بينما لا تزال أنظمة الحكم

العربية تغطّ في نوم عميق، وفي جهل وظلام دامس، بعيدة عن تلك المفاهيم المتحضرة- فإنظمتة محرفة عن مضامينها، جمعيات واحزاب مفرغة من محتوياتها أسماء دون مسميات، وهي لا تتجاوز العناوين والكلمات، ولا أثر ولا مفعول لها في واقع الحياة، كلّها تؤيد النظام الذي تعيش فيه.. وهي من صنعه أيضاً، وكلها تقّـس الحكم وتغني وترقص وتطبل له، ولو كان في ذلك حتفها ويصدق فيها قول الشاعر معروف الرصافي:

علمٌ ودستورٌ ومجلسُ أمةٍ
كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى ألفاظها
أما معانيها فليست تُعرف
وحال حكامها - بعد تحررها من
الاستعمار - ليس جيداً
وظلم ذوي اقربى أشدّ مضاضةً

على المرء من وقع الحسام المهند
والويل والثبور وعظائم الأمور، لو أبدى متقف رأيه، أو تكلم بما يعتقده، أو لو اصدر حزب ما بياناً، ولم يكن فيه غناء له في كل مقطع منه، فالاعتقال مصيره، والسجن مأواه، ناهيك عن دعس كرامته وازدراؤه، وربما يأخذ السيف طريقه إلى عنقه. إن تصفيات الثوار في الوطن العربي ليست قليلة. وكل ذلك تقوم به الأنظمة العربية باسم الحق والعدل والعروبة والوطن- والحق منه براء- ليبقى الحاكم على كرسيه، لا يفسح المجال لغيره، ضارباً عرض الحائط بالشعب ومصلحه، بل

محتقراً شعبه كل الاحتقار، لا يعتبره ولا يثق به، ولا يستشير في صغيرة أو كبيرة، ولا يقيم لوجوده وزناً. فليس هناك من أحد غيره.

ولأنظمة الحكم هذه مؤسسات كثيرة، قام هو بتأليفها، كال دستور والقانون والأنظمة الأخرى، جعلها جميعاً تعمل لمصلحته، ومن أجل بقاءه وديمومته وسخر لها جميع وسائل الإعلام من (تلفزيون وإذاعة وصحف ومجلات، وجميع وسائل الدعاية الأخرى) التي لا تحصى ولا تعد. وإن كل من يخالف شرائعه يوصم بالندالة والخيانة والباطل باسم الحق! فكيف تحملني يا أخي مسؤولية قيادة المجتمع وتنقيفه، ودفعه نحو التقدم والعصرية، وأنا المتقف فقير الحال مدقعا، باع أهلي كل ما يملكون حتى تعلمت وتنقفت كي أعيّل نفسي، وأرد لهم بعض الجميل؟ وكيف أدفع بنفسي إلى التهلكة المؤكدة؟!

وان اقتنعت بأقوالك وضحيّت، فمن يكون لأمي الثكلى، ولزوجتي الأرملة، ولأولادي اليتامى؟! وفي أبسط الأحوال وإذا تفاعلت واكتفي بسجني فقط بالأ يكون مصيري مصير الشاعر الحطيئة عندما القاه الخليفة عمر في السجن؟ حين استعطفه، وأرسل له تلك القصيدة التي قال له فيها:

ماذا أقول لأفراخ بذي مرخ

ذغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر؟

ولكن ليس كل متقف شاعراً، وليس

كل حاكم عمراً

اضف إلى كل ذلك أو تحسب كل المتقفين؟ وغايتهم فقط مصلحة الأمة والشعب والوطن والإنسانية؟

إني سأعرض عليك وجهة نظري في كثير من المتقفين، الذين يحسبهم أكثر الناس هكذا، إن هؤلاء أكثر الناس عداوة للشعب، وتحيزاً وتملقاً تلك الأنظمة الجائرة، ولسادتها الظلام، وهم مع الحاكم الظالم المستبد ضد الأمة والوطن والشعب. هؤلاء هم عبيد تلك الأنظمة وحراسها الأوفياء يضعون كل ثقافتهم وعلمهم وخبراتهم في خدمة أسيادهم الحكام، لا من أجل الشعب، بل من أجل تلك الأنظمة ولبقائها واستمرارها. فيزينون سلوكها ويعصمون تصرفاتها، فتغدو وكأنها الحكمة بذاتها، والحقيقة خالصة نقية صافية، غايتهم البقاء في مناصبيهم وعلى كراسيهم، متطلعين باستمرار نحو المراتب العليا، متسابقين إليها، غير عابئين بمصالح الأمة والوطن، ولا يعرفون معنى الإنسانية إلا بالكلام الكاذب. هؤلاء كثيرون جداً، وهم أخطر عدو للشعب والوطن.

فلو تذكرنا أن الاستعمار بأشكاله المختلفة ما حكم بلداً إلا بأبناء ذلك البلد المتملقين، وهم المتقفون الذين أتحدث عنهم، فتصوروا لو لم يتعاون هؤلاء مع المستعمرين لما استطاع حكم أي بلد في العالم.

ألم يحرر (المهاثما غاندي) الهند بالكفاح السلمي، وبمقاطعة الهندود للمستعمرين الإنكليز، ورفض التعاون معهم

وعدم شراء بضائعهم، وكان اللا عنف
اسلوباً ناجحاً.

نعم هكذا تحررت الهند. وكان
نضالها طريقة جديدة ومفيدة.

فلماذا لا نفعل هكذا مع العدو
الإسرائيلي؟

- ماذا أقول عن المتقنين الانتهازيين
المتملقين، الذين يصلون إلى السلطة بما
يملكون من مواهب الدهاء والرياء والكذب
والتمثيل؟

يقول عالم الاجتماع (عبد الرحمن
بن خلدون) في مقدمته المشهورة:
(في أن السعادة والكسب إنما تحصل
غالباً لأهل الخضوع والتملق) ..

إن سبب ذلك هو أن الجاه -
السلطة- يفيذ المال لما يحصل لصاحبه من
تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم، ويدفع
المضار ويجلب المنافع .

وقد اشتهر بين الناس أن الكامل في
المعرفة محروم من الحظ، وبالتالي يرتفع
كثيراً من المرتزقة إلى أعلى المراتب بسبب
ذلك، فتضعف الأمة ويتخلف الوطن ويؤذن
بالخراب.

وقال شتيرنر الألماني: (حفنة من
القوة خير من كيس من الحق) .

وقال الشاعر (روجر شام) : (إن
الغش والكذب والنفاق والمداينة أمور أربعة
لا بد منها للوصول إلى الفضيلة والنعمه،
وإذا كنت مجرداً من هذه الصفات الأربع
فالأولى بك أن تعود- أيها الأخ الطيب-
إلى بيتك) .

- وهناك صنف من المتقنين بعيد عن
الشعب، فلا يخالطه ولا يعرف ظروف
حياته وعيشه، متعالياً عليه، رافعاً أنفه،
يمشي في الأرض كبرا وصلفاً، معتداً بعلمه
وتفاوته حتى أصيب بالخلاء، يحسب نفسه
ذا دم أزرق مميز كما يظن الصهيوني
والنازي نفسه فهو أرفع مكانة، إن هؤلاء
المتقنين لا يقدمون شيئاً مفيداً للناس، ولا
للوطن أيضاً، وهؤلاء مكروهون من الناس
ومبغضون، بعيدون عن قلوبهم يشوهون
سمعة المتقنين الحقيقيين ويسبون إليهم بما
فيهم من عيوب، كما هم عليه بعض
أصحاب المهن العلمية الحرة عندما يخونون
رسالتهم المهنية والانسانية المقدسة
ويستغلونها خلاف ما هي عليه، بالكذب
والنفاق وسرقة الناس زوراً وباطلاً وأفكاراً.

- وكم من المتقنين يفعلون خلاف ما
يقولون، فينادون بالحرية والديمقراطية
والعدل والحق والمساواة وما إلى ذلك، من
قيم ومثل عليا، وعندما أوصلتهم ظروفهم
إلى سدة الحكم انقلبوا على كل هذه القيم،
ولبسوا رداء السلطة التي كانوا ينتقدونها،
فانفردوا بالحكم، والتسلط والظلم، همهم
السلطة وجمع المال بأية وسيلة كانت،
مطبقين القول الشهير (الغاية تبرر الوسيلة)
متكررين لمبادئهم وعقائدهم، وللشعب الذي
كانوا ينادون باسمه ومن أجله. هؤلاء هم
المنافقون، الذين يفعلون خلاف ما يقولون.
إن الشعب لا يثق بهم، ولا يحترمهم وقد
يفقدونه احترام المتقنين الحقيقيين عندما لا
يستطيع التمييز.

- ولبعض المتقنين آراءً مترددةً ومزدوجةً، بل ذات وجوه كثيرة، فهم لا يثبتون عند رأيٍ أو نظريةٍ أو مبدأ، حتى بالنسبة للخطوط العريضة، فيقلب اليساري يمينياً، والمادي روحياً، والصادق كاذباً، والمستقيم أعوجاً والاشتراكي رأسمالياً، وقس على ذلك.. هؤلاء هم الانتهازيون الأنانيون، يميلون مع النعماء كيف تميل، إنهم لا يصلحون لقيادة المجتمع، وكأنهم لم يقرؤوا سير المناضلين أمثال (غيفارا وديميتروف وماو وغاندي) وغيرهم ممن ضحوا بأرواحهم من أجل وطنهم أو قرؤوا ولم يلتزموا، فبئس معرفة بلا عمل ولا التزام.

- ومتفقون آخرون أثروا البقاء وراء مكاتبهم وأمام مكباتهم، يقومون بدراسة الكتب حسب اهتماماتهم واختصاصاتهم، ثم يقومون بتأليف الكتب، فيتعسروا بطبعها ونشرها، فلا تصل إلا إلى قلة من الناس لأسباب كثيرة، من ضعف القدرة الشرائية لدى المتقنين، وغلاء الكتاب وربما الاستغناء عنه بسبب تقدم الاتصالات الحديثة وعصرنة الأعلام، وما يقدم من ثقافات ومعلومات سهلة المنال أكثر من المطالعة والدراسة في الكتاب.

وإن المؤلفين والناشرين يعرفون تفاصيل ذلك تماماً. فالتلفزيون والمذياع والأنترنت وغيرها.. تقدم معلومات بيسر وسهولة، وبالتالي فلا يقتني الكتاب إلا القليلون، وقد يحجم الكثيرون عن

طباعة ونشر مؤلفاتهم، فتذهب ثقافتهم سدى دون أية فائدة.

- وفريق آخر من المتقنين يغلب عليه الخوف من ملاحقة السلطة له ومعاقبته على ابداء رأي، بما تملك من وسائل كثيرة، وإذا كان موظفاً فقد تحرّمه من لقمة عيشه بتسريحه، فيتعطل عن العمل، وقد تصل العقوبات للمعارضة في بعض الدول إلى التصفية الجسدية، وهو يرى كل ذلك ويسمع، فيؤثر السلامة والأمن على أن يصدر كتاباً فيه حقه، أو سجنه على الأقل، أو النيل من كرامته، كما حدث لكثيرين من المفكرين والأدباء والكبار.. فماذا ينفع المرء لو ربح العالم وخسر نفسه.

- وماذا أحدثك يا أخي! عن المتقنين الذين ملأت عقولهم بالخرافات والأساطير، وأصبحوا يتعاملون مع الأبراج والحكايات؟ وتمسكوا بعادات قديمة جداً عفى عليها الزمن، ولم تعد تصلح لهذا العصر وتلقض المنطق، وقوانين العقل، وهم رغم ذلك يتمسكون بها ويقولون: لا حضارة ولا تقدم دون الاعتماد عليها، وإذا ناقشتهم أخرجوك عن كل القيم والمثل والأخلاق، إلى درجة إحلال سفك دمك.

- وكم من المتقنين نقلوا نظريات وثقافات غريبة وشرقية فشوهوها بالنقل والتفسير والتطبيق، بدلاً من جعلها تلائم أوضاع أقطارهم فأعطوا صورة مشوهة عن تلك النظريات والمفاهيم العصرية والحديثة، كالحرية والديمقراطية والاشتراكية والمادية وأمثالها، فأبعدوا الناس عنها، بل كرهوها

بها. فإن بعض الأنظمة العربية التي أخذت بهذه المفاهيم، لا سيما الاشتراكية أوحث إلى الشعب بأن تطبيقها سيحقق العدل والمساواة والحرية والكفاية للجميع، ولكن الواقع لم يكن بمستوى النظرية - وإن أصابت نجاحاً- فاستغل أعداؤها نقطاً ضعيفها.

وأود أن ابدي ملاحظة أخيرة، فقد أطلت في تعداد المشكلات والعراقيل التي تقلل من عدد المثقفين الحقيقيين، أو التي تنشيهم عن القيام برسالتهم الحقيقية. أقول:

إن لا أحداً من الناس ولا من الشعب أيضاً كلف المثقف، أو خوله أو أناط به تلك المسؤولية التي حملتها له، كما أن السلطة لم تكلفه بذلك ولم يوكله أحد بتلك المهام، فكيف يوكل نفسه دون إرادة هؤلاء؟! وإذا تصوف ونجحت نظريته أو رأيه فلا ينسب إليه، بل يتجاهل معاه وكأنه غير موجود، ولا علاقة له بذلك. وهذا هو البؤس بعينه، والتكرار للجميل.

فما العمل؟! وما هو الحل؟!

إن ما أبديته يا أخي من ملاحظات حول المشاكل التي تعترض طريق المثقفين وحول شخصياتهم المتعددة وميولهم المختلفة، والأسباب التي تحرفهم عن تأدية رسالتهم أصابت كبد الحقيقة، وهي فعلاً عوائق تقف في سبيل تحقيق غاياتهم وآمال شعوبهم، وهي أشبه بالألغام القاتلة المزروعة في طريقهم، تمنعهم من قيادة أوطانهم نحو التقدم والحرية والعدالة.

ولكن - يا أخي! - مهما كانت الصعاب والعقبات التي ذكرتها، والتي هي

صحيحة تماماً، يجب ألا تقف عثرة في سبيل ممارسة دورهم القيادي لمجتمعاتهم بقدر ما يستطيعون، وضمن الهوامش المتاحة لهم، متحملين ما يمكن تحمُّله من أخطار، من أجل مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأبناء أمتهم. فالمثقفون هم خط الدفاع الأول، خط الدفاع الحقيقي، فإن لم يقفوا في ذلك الخط فمن يقف غيرهم؟ وإن تراخوا عن أداء رسالتهم فمن يا ترى يأخذ مكانهم؟! إننا نعلم تماماً أن الغرب لم يتقدم إلا باعتماده على العلم والشعب الحر، وإن ما من بلد تحرر ونال استقلاله إلا على دم الشهداء، وإن باب الحرية لا يستطيع فتحه إلا الشهيد، والمثقفون هم شهداء العلم والحق والتقدم والحرية.

وإذا كان هم المثقف كسرة الخبز، وارضاء النظام الظالم، فعند ذلك يصدق فيه قول الشاعر الكبير نزار قباني، الذي اعتبر الشاعر علي رأس المثقفين قال:

نرفض الشعر أن يكون حصاناً

يمتطيه الطغاة والأقوياء

ما هو الشعر؟ إن غدا بهلوانا

يتسلى برقصه الخلفاء

ما هو الشعر؟ حين يصبح فأراً

كسرة الخبز.. همه.. والغذاء

وإذا أصبح المفكر بوقاً

يستوى الفكر عندها والحداء

يصلب الأنبياء من أجل رأي

فلماذا لا يصلب الشعراء؟

فلا بد للمثقف العربي، وضمن

الظروف القاسية التي يعيشها، ومهما

صعبت، من أين يمارس دوره متحملاً
المشاق، مناضلاً عنيداً من أجل شعبه
وطنه والإنسانية متمثلاً قول المتنبي:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً

إن الحياة عقيدة وجهاد

فعلي المتقف أن يكون قدوة لشعبه،
ونموذجاً حياً، ومشكاة نور تهدي الجميع
ليتمثل به الناس ممن يعرفونه أو يقرؤون
مؤلفاته وكتبه، فينال احترامهم وحبهم،
ضارباً مثلاً أعلى في ممارسة القيم والمثل
والأخلاقية علماً وعملاً، انسجاماً مع ثقافته
وعقيدته ومبادئه، فتتق به الجماهير التي
يناضل من أجلها، ويعمل لخيرها وصلاحها.

وإن الممارسة الصادقة تعطي
المتقف قيمة حقيقة بين الناس فيلتصقوا به
ويحترمونه، ويسيروا وراءه، ويؤمنوا بأقواله
وجهاد ونضاله، فيساهم في تنقيفهم
وتتويرهم ووضعهم على الخط الوطني
السليم، الذي يؤدي بالمجتمع نحو التقدم
والتحضر.

ولا شيء أضر بالمتقف من أن
يكون مداهناً ومرائياً، يفعل خلاف ما يقول
فيصدق فيه قول الشاعر:

لا تته عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وكم نعاني نحن الشعوب اليوم ممن
يخونون مهامهم ورسالاتهم، في وظائفهم
ومهنهم، فيحتالون على أبناء بلدهم وشعبهم
الفقير عندما يحتاجهم أو يسلم أمره لهم، أو
ينصبون أنفسهم أرباب نعمته؟ إن استغلال
هؤلاء المتقفين لعلمهم وثقافتهم هادفين

مصلحتهم الذاتية فقط يكونون قد فقدوا ثقة
الشعب بهم، وقد ينظر إليهم كأعداء له.
وباعتبار المتقف وجه الأمة ومن روادها
فإذا فسد قادها نحو الانهيار والفساد فإنما
الأمة بأخلاق ابنائها فإن فسدوا فسدت الأمة.
وإنما الأمة الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وعلى المتقف أن ينشر ثقافته بين
أبناء مجتمعه، لا أن يحتفظ بالعلم
لنفسه، فالعلم كالمال فإنك لن تستفيد منه
ما لم تتفقه.

قال : (تبا لك أيها الفلاس فإنك لن
تتفني حتى تخرج من جيب). وهكذا العلم
والثقافة فإن أكلهما في شرهما، وتمثل
الشعب لهما. اجتمع الفيلسوف سقراط
بجماعة من الناس فبدأ يتكلم كل واحد منهم
مبدئاً رأيته إلا واحد، فقال له أرسطو: (تكلم
يا رجل حتى أعرفك!) فليس المهم أن يكون
الشخص متقفاً فقط، بل الأهم أن ينشر ثقافته
بين أبناء مجتمعه، فهو واحد وهم كثير.

ومن واجب المتقف أن يطلع على
ظروف حياة شعبه ومشاكله فيناقشها ويضع
الحلول لها، وكل متقف حسب اختصاصه،
مستغلاً المناسبات الاجتماعية الكثيرة، وعليه
أن يقوم بالقاء المحاضرات حيث يتاح له
ذلك أيضاً، فهي الندوات التي يلتقي فيها
بالناس، وفي المراكز الثقافية، وكلما سنحت
له الفرصة ذلك، معبراً عن آرائهم عارضاً
مشاكلهم، منتقداً كل تصرف أو سلوك لا
يحقق أهداف مجتمعه. ولا يدع أية فرصة
تضيّع دون أن يستغلها. لقد سمعت رواية
جميلة بهذا الشأن. هو أن أحد الجنرالات

جاء إلى موقفٍ باصٍ للنقل الداخلي يريدُ الذهابَ إلى عمله، فوجدَ عسكرياً برتبةٍ عريفٍ وإلى جانبه جنديٌّ، فسألهما الجنرالُ منذ متى تنتظران الباص هنا؟ فقالا له: منذ نصف ساعة تقريباً، فقال الجنرال للعريف: ولماذا لم تدرب هذا الجندي؟! ابدأ بتدريبه فبدأ العريف بتدريبه في الحال وأمام كل الناس..

وهناك مجالات أخرى كثيرة في زماننا لكي ينشر المثقف آراءه ومبادئه وعقائده ووجهة نظره التي يراها في كل صغيرة وكبيرة، بجرأة وشجاعة وعلمانية وحياد، من خلال وسائل الإعلام الكثيرة كالتلفزيون والمذياع، والصحف والمجلات وغيرها وغيرها، ومن خلال تأليفه للكتب ونشر المقالات والمحاضرات، فتصل آراؤه من خلالها لأكبر شريحة في المجتمع، وتؤدي بذلك الفائدة المرجوة، فيساهم بنشر ثقافته التي تنفع الجميع. ولا بأس أن يتحمل بعض المشاق والظلم وما يتبع ذلك في سبيل نشر المعرفة والعلم، إذ أنه وحده اختير لهذه المهمة الصعبة والشاقة. وإذا لم يفعل ذلك كما قلت فمن غيره يستطيع أن يحل محله؟! أو نبقى هكذا متخلفين!

ألم يقيم الأنبياء والرسول، بما أوكل إليهم من مهام لتأدية رسالتهم؟ وكم لاقوا من الاستكبار والعذاب والاضطهاد في سبيل نشرها؟ وكم جاهدوا وناضلوا، ونادوا بأعلى أصواتهم في الساحات وعلى مفارق الطرقات وفي الاجتماعات والندوات لكي يؤمن الناس برسالاتهم؟! وما استجلب في البدء إلا القليل القليل، فقاومهم الأشرار

والجهلة والسفلة وقطاع الطرق، فتحملوا كل المشاق والعذابات، فمنهم من جرح، ومنهم من قتل، ومنهم من صلب، فصبروا وما بدلوا آراءهم تبديلاً.

وهكذا انتصر الأنبياء بالحق، وأدوا رسالاتهم، وكان ذلك بجهادهم وتضحياتهم، وما قاموا به من تفتان وفداء، فكانوا خالدين أبد الدهر. فإن لقي الأنبياء والرسول والمصلحون أشد أنواع العذابات في سبيل نشر رسالاتهم، فعذبوا وصلبوا أليس بالأحرى أن نفتدي بهم، ونسير على خطاهم، من أجل شعبنا ووطننا وأمتنا؟! إن المثقف مكلف بأداء رسالته، والدفاع عنها، مهما أصابه من ظلم واضطهاد، لأنه وحده الذي يحمل مشكاة النور ومشعلته، وحده الضوء المبدد للظلام، هو الناطق بالحكمة والمعرفة والعلم، وعليه أن يعمل من أجل تحقيق رسالته، وفي سبيل بناء مجتمع حر متقدم عصري.

فإن أمة ليس فيها متقنون فهي أمة جاهلة وأمة متخلفة، لا يحسب لها حساب، ولا مكانة لها بين الأمم، يعيش أبنائها بالذل والفقر والقهر والجهل، وهي ذاهبة نحو الزوال.

وإن أمة يقودها متقنوها، هي أمة حية خالدة أبد الدهر. فكن يا أخي المثقف متقناً حقيقياً أولاً، ولا تظن بعلمك وعملك وثقافتك على أمتك ووطنك وشعبك، واسبق الصبح إلى مطلع الشمس، حادياً أمتك بالعلم والثقافة والعمل نحو المجد والخلود، فبذلك مجد الأمة وفخارها وعظمتها.

نهضوا وقد صدح الآذان

ياسر برازي

نهضوا وقد صدح الآذان توضحوا بدم الحجز
الفجر قال لوعده الآتي: سيبتسم القمر

السَّيلُ، لن تقف السدود بوجهه لقد انهمر
فالأحمر ينبوع يملئ ما تخطط يد القدر

طفل ومقلع فيا درب الشهادة يا سفر
آتون: سكيناً وصاعقة على شفة الظفر

ودماً لشعر القدس حياء ولأقصى زهر
الشوك لن يدمي عيون القدس فاهطل يا مطر

نهضوا وقد صدح الآذان إلى الجهاد إلى الجهاد
لن تستقرد مأوهم بصدورهم فالرمل صناد

جاؤوا سيولاً حين حل الليل يُمعن في السواد
يا قدس يا أقصى ويا آلام رابية وواد

خلّوا الدموع وأبعدوا عن صدوركم لون الرماد
قوموا اجعلوا الشهداء أقماراً على طرق الرشاد

ولتكتبوا بدم الشهيد فإنه خير المسدد
الراغفات من الجراح الحمر تذهب بالحداد

* * *
نهضوا وقد صدح الأذان لينبئوا فينا هانا
كنا وكان الخوف يصفعنا ويسلبنا خطانا
لا القدس لا الأقصى يحركنا وقد هانت وهانا
والآن: كل نوافذ الدنيا تصيح إلى نادانا

الزغردات على دروب الفتوح تسكبها دمانا
يا أيها الأطفال يا خمماً تدفق من ثرانا
لا تخمدوا لهب الحجارة أحرقوا فيها الجباننا
فرعون أدمن ذلّه، موسى يلتقه الهوانا

* * *
يا من ذهبت إلى النضال وعدت محضوب الوشاح
يا أيها المغروس رمحاً يستطيل على الرماح
سكتوا وقد غنيت في الساحات أغنية الكفاح
حجر بكفك أيها المصنوع من ألم الجراح
حجر سلاخك - إنه السجيل - بورك من سلاح
دمك الخلود، الليل فيه يظل يهتف للصباح
دمك الحضارة أنبتت فجراً وروضاً من أقاح
اكتب: تقدست الشهادة - ما لعن الجرح ماح

تربطني به صداقة عقد كامل من
الزمان، كلها في قاعة الاجتماعات الشهرية
لجمعية البحوث والدراسات في مبنى اتحاد
الكتاب العرب بدمشق.

لا يكاد ومنذ بداية معرفتي به رأيت
فيه من الصفات قلما أجدها في غيره من
أعضاء تلك الجمعية الموقرة.

كان هادئاً قليل الكلام، لا يتكلم إلا
إذا طلب منه ذلك، فإذا تكلم كان مثال
الخبير المطلع، والمتقف الواعي، والمؤرخ
الثقة، والجغرافي الرحالة الخبير والأديب
الباحث، والدبلوماسي الذي قضى شطراً
كبيراً من حياته يتجول في ثلاث قارات من
العالم القديم، يخدم وطنه ليفي ما بذمته من
دين لأمته.

ولا يكاد يغيب عن اجتماعات
جمعية البحوث والدراسات الشهرية إلا ما
ندر، يناقش، ويبدى رأيه، ويحاضر، يتكلم
بهدوء وتؤدة، ولا يغضب من حوار معه،
ولا يتعصب لرأيه، ويحترم رأي غيره
كثيراً، وكأن الدبلوماسية التي مارسها فيما
بعد شبابه قد انطبعت على سلوكه وحياته.
فنحن نلتقي في كل شهر من معين خبرته
وتجاربه التي قلما نجدها عند غيره من
أقرانه.

محمد عدنان مراد

بين الثقافة

والدبلوماسية

والرحلات

بقلم :

أحمد شوحان

ومن يجلس معه عاماً كاملاً يسمع
لحديثه أو يناظره في مسألة أو يناقشه في
قضية لا يلمس فيه تعالياً أو تفاخراً أو شيئاً
من عنجهية عسكرية، وكان الرجل لم يكن
عميداً ركناً في الجيش العربي السوري،
وكان الذين يحملون هذه الرتبة في أيامه لا
يزيدون على عدد أصابع اليدين، أو سفيراً
لبلاده في عدد من الدول، فزادته وظائفه
تواضعاً، وزاده تواضعه محبة بين زملائه.

مولده ونشأته

في مدينة حماة وفي عام ١٩٢٤
ولد عدنان مراد بين صرير النواكير التي
تتن ليلاً ونهاراً، ولعلعة الرصاص الذي
كان الفرنسيون يرشقون به المدينة التي
ثارت عليهم، واستمرت في الثورة إلى يوم
الاستقلال.

وبها نشأ ودرس الابتدائية
والإعدادية والثانوية وفي ١٢/١٢/١٩٤٥
تطوع في الجيش السوري الذي كان يرضخ
للفرنسيين الذين بدأوا يربطون أحزماتهم
للرحيل عن أرض الوطن. وقضى في الكلية
العسكرية في حمص سنتين، سنة والبلاد
ترضخ للفرنسيين، وسنة وقد أصبحت
البلاد حرة مستقلة.

صفاته ومزاياه

منذ صغره كان يحب الرحلات
والاكتشافات الجغرافية التي قام بها
الرحالون القدماء من المسلمين الذين
انطلقوا من الأندلس فجابوا أفريقيا وآسيا
وجزر البحار التي مروا بها، البحر الأبيض
المتوسط والأحمر والبحر العربي والمحيط
الهادي والهندي.

وكثيراً ما كان يفكر وهو في نعومة
أظفاره: هل أتجول في العالم كما تجول
هؤلاء وأرى من عادات الشعوب وصفاتها.
وجمال البلدان وغرائبها كما رأى القدماء
فأكتب عنهم كما كتبوا لنا، وأصبحت
كتاباتهم تراثاً خالداً نعز به!!؟

في الجيش السوري

تخرج من الكلية العسكرية في
١٢/١٢/١٩٤٧ برتبة ملازم ثان، وقد
اختص في سلاح فرسان - مدرعات.
وبعد ثلاث سنوات أرسل إلى فرنسا
ببعثة عسكرية (١٩٥٠ - ١٩٥١م) والتحق
بمدرسة تطبيقات المدرعات والخيالة
العسكرية في (سومور) اختص فيها على
سلاح المدرعات والتعاون بين صنوف
الأسلحة العسكرية.

وفي عام ١٩٥٩ اتبع دورة أركان حرب في كلية الأركان السورية وحاز على شهادة ماجستير في العلوم العسكرية.

وإبان عمله كمسكري في الجيش السوري عمل في جيش الإنقاذ عام ١٩٤٨ حين تقدم المجاهدون لتحرير فلسطين من الغزاة الصهاينة اليهود، فكان قائداً لحامية عكا، وقد شارك مع جنوده وضباطه في الدفاع عن المدينة، كما شارك في الدفاع عن مدينة صفد، ثم استلم قيادة مدرعات فوج اليرموك الثاني، وشارك في الهجوم على بعض المستعمرات، كما شارك في العديد من المعارك التي دارت بين مجاهدي جيش الإنقاذ وعصابات اليهود الغازية منها: معركة المالكية، وقدس، والنبي يوشع، وغيرها.

كما كان له شرف المشاركة في المعارك بين الجيش السوري والجيش الإسرائيلي وذلك في معركة تل العزيرات، ومعركة جسر بنات يعقوب.. وغيرها.

كل يعمل بشجاعة وشرف بالغين مما دعا القيادة العسكرية تنظر إليه نظرة الاحترام والتقدير فمنحته مجموعة من الأوسمة.

١- وسام الإخلاص من الدرجة الأولى.

٢- وسام الاستحقاق السوري.

٣- وسام الشرف العسكري.

٤- وسام فلسطين.

٥- منح جميع الأوسمة التذكارية في المناسبات والأحداث الهامة.

وقد تنقل في مناصب عسكرية مختلفة وارتقى فيها بأمانة وقدرة وكفاءة بدأها بقائد سرية ثم قائد كتيبة، فمديراً لمدارس المدرعات، فقائداً للدفاع عن مدينة دمشق، فقائداً لسلام المدرعات، ثم أصبح قائداً للمنطقة الساحلية. وكان برتبة عميد ركن. لقد كان عسكرياً ملتزماً بشرفه العسكري وانضباطه المسلكي، ولم أر فيه يوماً عنجهية وجلافة الآخرين، الذين يتصرفون بخشونة وصلف، أو يكتمون ما لا يعلنون، ولذلك كان محبوباً من رؤسائه ومرؤسيه على السواء وكان نشاطه الثقافي وهو في السلك العسكري ملموساً:

١- شارك في ترجمة القاموس العسكري، وكان مندوباً بذلك عن سلاح المدرعات.

٢- كتب العديد من المقالات العسكرية في المجلة العسكرية السورية.

٣- قام بترجمة الأنظمة العسكرية الفرنسية إلى اللغة العربية.

٤- ألقى العديد من المحاضرات والكلمات في القطعات العسكرية في أزمنة مختلفة، وشارك في الندوات الكثيرة.

كانت الوحدة بين القطرين الشقيقين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أملاً للعرب قاطبة في إقامة الوحدة العربية الشاملة، لكن هذه الوحدة لم تدم طويلاً وحدثت فيها أخطاء، تمنينا أنها لم تحدث، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه من حركة عسكرية قد تطيح بهذه الوحدة، وهذا ما حدث فعلاً في ٢٨ أيلول ١٩٦١ حيث انفصلت هذه الوحدة، وتقطعت عراها. من تلك الأخطاء التي استغلها العسكريون السوريون: نقل عدد من الضباط السوريين إلى وظائف مدنية ووزارات لا علاقة لها بالشؤون العسكرية، أو ألحقوا بوزارة الخارجية.

وكان صديقنا الأستاذ عدنان مراد أحد أولئك الضباط - هو عميد ركن - الذين ابعدوا عن الجيش إلى وظائف مدنية وقد انتهى عمله في الجيش السوري في ١/٢/١٩٦١ ليلتحق بعد هذا التاريخ بوزارة الخارجية في القاهرة.

ومن القاهرة كانت نقطة انطلاقه في العمل السياسي والدبلوماسي، وارتقى إلى مناصب مدنية رفيعة هي:

١- عمل مديراً لإدارة الوطن العربي مع صفة مندوب سورية في جامعة الدول العربية، ورئيس الوفد السوري

لمؤتمر الجامعة العربية - أجهزة فلسطين - في المؤتمرات الدولية المشرفة على اللاجئين الفلسطينيين بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

٢- صب جهوده وخبرته لتوثيق الصلات العربية الأفريقية، للوقوف في وجه الهجمات المتكررة على القارة السوداء من الغرب عن طريق شراء العملاء وكبح جماح الإرساليات التبشيرية التي عملت جادة من أجل تغيير الهوية الأفريقية، ومن إسرائيل عن طريق الصهيونية العالمية حيث راحت تتغلغل في هذه القارة البكر العزلاء، وتمد إليها نفوذها لصهينتها وامتصاص ثرواتها، فكان نتيجة جهوده وجهود زملائه في الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية أن تأسس البنك العربي للتعاون العربي الأفريقي.

٣- عين سفيراً لسوريا في الصومال عام ١٩٦٢ وأقام فيها أربع سنوات كان خلالها يعمل بجد ونشاط مع الحكومة العربية الصومالية لتخفيف الضغط على ثوار أرتيريا التي كانت خاضعة للحبشة في اتحاد فيدرالي أقامته الأمم المتحدة في كانون الأول عام ١٩٥٠، وكانت سورية أول دولة تقدم العون

والمساعدة المادية والمعنوية

لثوار أرتيريا عام ١٩٦٢ وهي المهمة التي كان يقوم بها زميلنا عدنان مراد.

٤- خلال إقامته فيها تعرف من خلالها على طبيعة الشعب الصومالي والزعماء الذين كانوا يطالبون بالأراضي الصومالية الخاضعة لأثيوبيا. وكتب عنها كثيراً. وتعرف على الجالية العربية والإسلامية في ثلاث دول مجاورة للصومال هي كينيا وأوغندا وتنزانيا من خلال زيارته لها.

٥- عندما عاد إلى سورية بعد انتهاء عمله كسفير للصومال، عاد إلى لوساكا عاصمة زامبيا لحضور مؤتمر عدم الانحياز عام ١٩٧١ التقى خلال فترة المؤتمر مع أعضاء الوفد السوري عدداً من الزعماء الأفارقة وغيرهم.

٦- كتب عن الدول التي عمل بها أو زارها. وقد قرأت العديد من تلك الدراسات في نسخها الأصلية التي لا يزال يحتفظ بها. وهو في تلك الجولات الواسعة في أفريقيا كان يجد العرب فيها بل يجد المسلمين فيقول: (في كل مكان وصلته في القارة كنت أجد في من يحدثني

باللغة العربية أو يحييني بسلام الإسلام).

٧- عمل مديراً لإدارة القنصلية، ورئيساً للوفد السوري لتوقيع الاتفاقيات القنصلية مع الدول الاشتراكية - بولونيا - رومانيا - بلغاريا.

٨- عمل مديراً للإدارة الأفريقية، ورئيساً للوفد السوري في مؤتمرات التعاون العربي الأفريقي في تونس - ليبيا - دمشق.

٩- مثل سورية في عدد من المؤتمرات والوفود الرسمية منها:

أ- كان عضواً في الوفد السوري لمؤتمر دلهي لمساندة شعب نامبيا عام ١٩٨٥.
ب- اعتبرته الجامعة العربية خبيراً في الشؤون الأفريقية، وقد شارك في عدد من المؤتمرات التي عقدت لمناقشة أوضاع أفريقيا سياسياً واقتصادياً.

ت- عمل كقائم للأعمال في السفارة السورية في بون.

ث- عمل سفيراً لسورية في اليمن الشمالي والجنوبي.

ج- عمل سفيراً لسورية في اليونان.

ح- مثل وزارة الخارجية في مباحثات سد الفرات خلال التحضير لبنائه.

خ- مثل وزارة الخارجية في المؤتمر الألفي لمدينة بغداد، وذكرى الفيلسوف الكندي فيها.

إلى غير ذلك من المهام الثقافية والدبلوماسية التي مارسها وقام بها خدمة لوطنه بكل صدق وإخلاص وأمانة.

ثقافته

نشاطاته الثقافية في الفترة التي عمل فيها في وزارة الخارجية دسمة لأنه زار وتجول وأقام في العديد من الدول في آسيا وأفريقيا وأوروبا، فقد كتب دراسات موسعة عن اليونان، الصومال، كينيا، تنزانيا، الكونغو، غينية، أثيوبية، زنجبار، وغيرها.

وكتب أبحاثا سياسية مطولة أذكر

منها:

١- القومية الزنجية في فكر الرئيس السنغالي سنغور.

٢- دراسات عن الأحزاب الإسرائيلية.

٣- الموقف الدولي من القضايا العربية، وموقف الدول من القضية الفلسطينية.

٤- احتلال إيران للجزر العربية.

٥- الخليج العربي في الماضي والحاضر.

٦- دراسة عن عربستان.

٧- دراسة عن جزر الخليج العربي.

٨- عمان وإمارات الخليج.

٩- تاريخ عمان والثورة العمانية.

١٠- الجنوب المحتل (اليمن الجنوبي).

١١- دراسة عن جزر البحر الأحمر.

١٢- دراسة عن السودان.

١٣- دراسة عن موريتانيا.

١٤- دراس عن الأكراد وثورة البرزاني.

وله العديد من الكتب المطبوعة والمخطوطة، تأليفًا وترجمة أذكر منها المطبوعة:

١- صراع القوى في المحيط الهندي والخليج / ١٩٨٢ / مكتبة التنبكجي - دمشق.

٢- بريطانيا والعرب. صدر بدمشق عن دار طلاس عام ١٩٨٥ م.

٣- تراجم عن اللغة الفرنسية - معركة ستالينغراد صدر عام ١٩٨٦.

٤- المجتمعات الأفريقية / ١٩٩٥ / صدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق.

٥- ملوك وعشيقات (قصص الحب التي صنعت فرنسا) صدر الجزء الأول منه عام / ١٩٩٣ / عن دار الأهالي بدمشق، والجزء الثاني لا يزال مخطوطا.

أم كتبه المخطوطة التي ترجمها عن الفرنسية ولا تزال مخطوطة فهي:

١- مذكرات الجنرال فاسيليفسكي رئيس الأركان في الاتحاد السوفيتي سابقا إبان الحرب العالمية الثانية.

٢- نحن الأخوة بارباروس ملوك الجزائر
وأعظم الربابنة.

٣- فرديناند وإيزابيل ملوك الكاثوليك
(خروج العرب في إسبانيا)

٤- الحرب الجرمانية السوفييتية (الجنرال
الفرنسي كونيغ).

٥- البرتغال والعرب. وهو مخطوط من
تأليفه.

أما عن الصحف والمجلات التي
نشر فيها مقالاته وبث فيها أفكاره وآراءه
فهي كثيرة جداً، ومع كثرتها لم يكن همه
الوحيد أن يكتب وينشر، ولكننا من خلال
معرفتنا به كتب ليفيد غيره وينفع الناس
بما كتب، وأهم المجلات والصحف التي
نشر بها هي:

١- المجلة العسكرية السورية: غزو
الألمان لبريطانيا، معركة طبرق،
معركة كورسك، ومقالات أخرى.

٢- مجلة استراتيجيا: العلاقات العربية
الأمريكية في القرن التاسع عشر.

٣- مجلة الفكر العسكري: نظرية ماهان
والسيطرة البحرية، الجيوش المرتزقة
ودورها، معركة تالاس آخر المعارك
العربية، العلاقات التركية - اليونانية
منذ ظهور الدولة العثمانية - مختصر

لكتاب تيتو يتكلم تاريخ النضال
اليوغسلافي ضد الألمان في الحرب
العالمية الثانية

٤- مجلة الفكر السياسي: الحرب في
أفغانستان والعوامل المؤثرة، الخلاف
الهندي الباكستاني وقضية كشمير.

٥- مجلة الآداب الأجنبية: القارة الأفريقية.
أما الصحف التي نشر بها فهي .

١- جريدة الراية القطرية: مذكرات عن ٥
حزيران عام ١٩٦٧، عدة مقالات عن
سقوط الإمبراطوريات الأفريقية
والحرب الأهلية في الكونغو وحرب
موبوتو.

٢- جريدة الثورة السورية: دراسات عن
العلاقات العربية - الأفريقية.

هذا وقد أجريت معه مقابلات كثيرة
في التلفزيونات العربية تحدث فيها عن
الوضع العربي والأفريقي. ولا يفوتني أن
أنوه عن فكره القومي فهو في جميع أبحاثه
ومقالاته وأحاديثه يتحدث عن الواقع
العربي، والأمة العربية، وهو بعيد جداً عن
القطرية.

ذلكم هو الصديق عدنان مراد الذي
قضى حياته باحثاً وأديباً، ودبلوماسياً
رحالة.

فزيدي النَّصْرَ نصراً يا دِمَشقُ

د. محمد الحسواني

نسيمُ الصَّبْحِ من بـردى يـرقُ
وهل في الكونِ مثلكِ يا دِمَشقُ
نشأتِ على أديمِ فسي جنانِ
لها في الخلدِ آفاقٌ وعُنقُ
ووجهُكِ في سماءِ الكونِ فجـرُ
وعطركِ في عيونِ الأفقِ ورقُ
إذا طمَحَ المَكَّانُ فـأنتِ أهـلُ
وإن هـامَ الزَّمانُ فـأنتِ عشـقُ
وإن شـردتْ نـجومٌ فـفي اللـيالي
فبـابُ الشَّامِ مقصـودٌ يـدقُ
غمـرتِ الكـونَ إشـراقاً وفضـلاً
أضيءْ بـنـوره غـربٌ وشـرقُ
إذا حَكَمَ القـضاءُ فـأنتِ عدلُ
وإن جـارَ الطُّغـاةُ فـأنتِ حقُ
وإن صـدقَ الرِّوَاةُ فـأنتِ فـخرُ
وإن كـذبَ الوشـاةُ فـأنتِ صـدقُ
وأنتِ على رقبابِ الشَّـرِّ سـيفُ
وللمظالمِ يومٌ إحـسانٌ وعـنقُ

* * *

صلاح الدين لم يقبل سواك
 لضمت رفاتك أنت الأحق
 لأنه في ثراك سري ومنك
 إلى القدس الشريف حده شوق
 وفي حطين كان له انتصاراً
 بسيف الشام أعناقاً يدي
 شمت بميسلون ولم تنهاني
 دروع المعتدين وهن طوق
 قدّم يوسف للخالد يسعى
 ولم يخشى الردى بطل محرق
 ولم تنهنا فرنسا فيك يوماً
 وحاط بجندها رعد وبرق
 وحل الرعب فيهم حيث حلوا
 ونال وجوههم طعن ومزق
 اتتنا كي تعلمنا السارق
 ونهج رقيتها قتل وحنق
 على قمم الجبال وفي البوادي
 دم الشهداء ريحان وغدق
 وفي نيسان جاء النصر يزهو
 ونبض القلب في الرايات خفق
 دمشق وقفت طول الغمر سداً
 ولن ينتاب له ضعف وخرق

وفيك اليوم بشّار حكيمة
 لسه في ساحة الرؤساء سبّاق
 إذا فتحت جراح في قلوب
 لسه في ضمتها عون ورثاق
 وإن عاث الأعادي في جمانا
 فعزم صموده نار وسحق
 مددت الصامدين غداة هبوا
 لتحرير الجنوب، بما اسحقوا
 وأنت اليوم للأقصى سيّاح
 وللجرح الثخين يذّور فراق
 لقد خدع الطغاة فبات يبدو
 على شارون إرهاب وحقق
 فقد جاؤوا لينوا في قرانا
 صياصيرهم ليرتاحوا وبقوا
 نذكّر كلّ سفاح غريب
 بأنّ القدس مقبرة وحرق
 دمشق على ربّاك يحدّ نور
 وممن إخلاصك المعهود دفق
 ويلقي الثائرون ليدك أمناً
 فزيدي النصّر نصراً يا دمشق

حاسة السعادة

عند..

عادل العوا

بقلم:

د. محمد جمال طحان

لو أننا استطعنا تجسيد الإنسان الكامل، وتوافرت الظروف المواتية لعيشنا، لما احتجنا إلى الكتابة عن السعادة ولكنّ النقص يطوّقنا، ولا ندري لماذا يتحرّج بعض الباحثين من البحث في السعادة، مع أنها مطلب حيوي لاستمرار فاعليتنا وتفاعلنا مع العالم.

ومن بين القلائل الذين حاولوا استكشاف طريق السعادة كان الدكتور عادل العوا، الذي تتسم أبحاثه بالعمق والإتزان. وهو يدرك أن نظرة الناس إلى السعادة تتفاوت.

لقد رأى بعض الفلاسفة أن السعادة تكمن في الفضيلة، أو في الخير، أو في التأمل العقلي، أو في الاتحاد بالله، وحسب ولكن عادل العوا لاحظ أن بنية الإنسان تخالف ما يذهبون إليه. إنه يشترك مع النبات والحيوان في كثير من الأمور البيولوجية، وينفرد بالعقل والتأمل. فما الذنب في أن يوافق الإنسان بنيته النباتية، ويروي غرائزه الحيوانية، وينتشي بعقله؟ وخاصة أن القرآن الكريم يخاطب المسلم بقوله: ((.. ولا تنسى نصيبك من الدنيا)). فالإسلام لم ينتظر حتى ((يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)). ولا يطلب من المؤمنين أن ينتظروا الجنة التي ((فيها أنهار من ماء غير آسن. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات)).

فهو عندما يأمر المسلم بأن يعدّ العدة للآخرة ((وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة)) ، يشدد أيضاً على ضرورة أن يطالب الإنسان سعادة حياته الفانية ((ولا تنسى نصيبك من الدنيا)) وما ذاك إلا لأن الإنسان محكوم بإنسانيته: عقلاً ونفساً وجسداً، ولا بد له من ارضائها جميعاً، وكلّما حسن تنظيمه لدوافعه، واعتنى بغذائه، ووفرت له أسباب الراحة، عاش بشكل أفضل، وحسن عمله لآخرفته.

ولا ضير في أن يختلف الناس في مسألة تجربة السعادة، وذلك لأنها أمر يتصل في نظر أصحابها بتجاربهم في الحياة، فهي ثمار الأبواب وحصيلة الممارسة ونتاج الخبرة والحنكة.. ولكن هل يمكن أن تأتي السعادة عفواً؟ أحياناً يمكن أن يحدث ذلك، ولكن حدوثها بهذا الشكل أمر طارئ، وما هذا إلا لأن الدكتور العوا يعدّ السعادة كالثقافة جهد تنظيم لا يضطلع به حقاً إلا صاحبه. وعن علاقة السعادة بالعلم يرى أن السعادة في الحياة مرتبطة بالحكمة أكثر مما هي مرتبطة بالعلم. فالعلم قد يخطيء في تقديره أحياناً وما المشكلات التي يخلقها العلم كل يوم إلا خير دليل على ذلك . أما الحكيم فإنه يصيب دائماً ويسعد دائماً.

والسعادة عند العوا شعور مباشر يتوقف على الخبرة والسلوك، وهي مطلب راهن يمس التحلي بالفضائل، فكلما اقتربنا

من القيم الأخلاقية النبيلة أصبح أقدر على التحلي بالسعادة.

كما يرى أن السعادة حوافز، واللذة هي جماع الحوافز التي تسوق الإنسان إلى طلب السعادة. وتنشأ اللذة من ارضاء الميول. أما وعي الإنسان بكرامته فينقله من الإحساس باللذة إلى الشعور بها، باتجاه مطلب الكمال أو المثل الأعلى.

ويفرق العوا بين اللذة والسعادة، فالسعادة ملتقى اللذة بالكمال، أو المتعة بالقيمة، أو الواقع بالمثل الأعلى، هي تطابق بين النظر والعمل. وبما أن للسعادة دوراً في السلوك، فلا بد من تلازم السعادة والتخلق. ولكن لا ترتبط السعادة دائماً بالفعل الأخلاقي. والتخلق لا يكفل للمرء شعور السعادة حتماً، واللاتخلق لا يقود بالضرورة إلى مشاعر التعاسة.

إن شعورنا بالسعادة لا يتبع نتائج أعمالنا دائماً، وإنما يخضع أحياناً لظروف خارجة عما قد نرسمه. لقد أراد (بوذا) التقشف، وترك الشهوات للوصول إلى السعادة، بينما ينصح (زرادشت) بلجرات عملية، من أهمها تحقيق الإنسان العدل مع الأعداء والأصدقاء.

ويعلن (السيد المسيح) أن دار السعادة لا يتوصل إليها إلا في الآخرة، فما هذا العالم (سوى جسر) للآخرة، فهل يستحق العالم مشقة الاهتمام به؟

في حين أن (أبيقور) قد حدّد السعادة باللذة، فالسعادة جسميّة، أمّا غاية

الحكمة فهي المتعة، ولا يمكن أن يكون الإنسان سعيداً ما لم يكن حكيماً وشريفاً وعادلاً.

واللذة القصوى تمثل التقيد بالفضيلة. وكما تقول الجوقة في رواية (انتيفون) التي كتبها (سوفوكليس) : ((إن الحكمة هي أولى ينابيع السعادة)).

أما (ابن باجة) فإنه يضع منهاج تدبير المتوحد طلباً للسعادة وتدعو (مها بهارات) إلى الامتناع عن إيذاء أحد، كما تدعو إلى القناعة والهدوء وضبط النفس والتسامح،

ولكن مذاهب السعادة تلك تبقى وجهات نظر مختلفة، ويبقى الشيء الأكيد المشترك بينها أن السعادة كثيراً ما تخرج عن نطاق الأخلاق. ويرى د. العوا أن للسعادة شروطاً، فهي غير ممكنة مع العوز والمرض، بل لا بد أن يتمتع الإنسان - مبدئياً - بشروط كفايته المادية والمعنوية والنفسية ليتمكن من الوصول إلى ذلك الشعور المرفه الذي ينتقل عبر الإحساس تارة، وعبر الفكر تارة أخرى.

وبما أنه يرى أن السعادة هي تنظيم الذات، كان لا بد أن تكون نسبية تتأثر بالظروف والطرائق التي ي نهجها كل إنسان لتنظيم لذاته. ومن هنا يعود مرة أخرى إلى التفريق بين اللذة والسعادة: ((إن للسعادة صفتي الدوام والتعميم، في حين أن اللذة تتصف بأنها زائلة ومحدودة)).

وهو يرى أن خير وسيلة لبلوغ السعادة هي ألا نتخذ السعادة غرضاً مباشراً. صحيح أن السعادة جهد ودأب وسير على الطريق، وهي لا تنال إلا بالوعي والتنظيم، ووعي الواقع باحتمالات لذاته، وتنظيم هذه الاحتمالات باتجاه القيمة الأسمى، ولكن ينبغي لنا ألا نبالغ في طلبها حتى لا نفرّ منا .

وكما تشترط السعادة وجود حدود دنيا من الشروط الشخصية، كذلك فإن السعادة تستلزم الحرية، ولا سيما حرية الأفراد في الاضطلاع بمصيرهم.

وحين يقارن السعادة بالمدينة والحضارة يرى أن السعادة لا تلتقي بالحضارة إلا إذا استطاعت حرية الأفراد والأمم أن تتيح للناس تنظيماً قانونياً وإمكانات راهنة فعلية، تمكن الشخص الإنساني من اختيار مصيره، وابتكار سعادته بتنظيم لذاته تنظيماً منهجياً يعكس ثقافة عصره ومصره.

ولكن هل يقتصر الفرد على الاهتمام بسعادته؟ يجب الدكتور العوا: لا بد أن يبتعد الإنسان عن الأنانية، لأن التضحية تتكشف عن متع لا حصر لها، ويمكن أن نلاحظ ذلك في عاطفة الأمومة. ومثل هذا القول صحيح في ميدان الحب بوجه عام.

وإذا كان الحب يرتبط بلذات (أنانية) حسية، فإنه يتصف أيضاً بـ (غيرية) رفيعة جعلت أكثر من مفكر ينادي

بأن الحب أصل سائر أشكال (الغيرية) الأخرى.

إن اللذة الغيرية، كما يرى د. العوّا، لا تخضع لحساب نفعي (أناني) مسبق. فإذا أشعر باللذة من جرّاء إسعاد من أحب فلست أفعل ذلك طلباً للذة بالذات، بل إن اللذة تواكب فعلي ذلك.

وما هذا إلا لأن للقلب (الغيري) وثبة عفوية تسبق (الأنانية) وتسمو عليها وقد جعل بعض المفكرين (الغيرية) نبراس التعاون والتكافل، ووجدوا أنها معيار الحضارة والرقى. وحسب بعضهم أن في وسعهم قياس درجة التقدّم بمقياس ازدياد الإيثار في حياة الأفراد والجماعات. لأن هذا يؤدي إلى أن يعم الاحترام بين الناس، وأن تشيع الشفقة، وتنتشر قيم التضحية من أجل الآخرين، والأمر، على أية حال، إنما يتعلق بتنظيم حياتنا العقلية لنصل إلى النتائج المبتغاة. ولا شك أن الأنانية والغيرية إنما تعبّر كل منهما عن مواقف نفسية معقدة، متفاوتة الدرجات، وهي تنم عن القيم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية. كما أن للتربية والثقافة دوراً لا يستهان به، ممّا يمكن أن يبعد الإنسان عن الأثرة والأنانية طلباً لتعاشٍ مريح مع الآخرين.

السعادة الشخصية التي لا تنفصم عراها عن سعادة الآخرين، أو إسعادهم، إنما هي شيء يجب أن نصنعه.

وزبدة القول في مسألة السعادة عند الدكتور عادل العوّا تتلخص في أن لذات

الوجود، لذات الكائن كما هو، تدل أكثر ما تدل، على الذات الحسية الناجمة عن ممارسة أعضائنا (الفيزيولوجية) ممارسة سوية، وعلى المرء، بالطبع، ألا يزدريها ولا يحاربها لمجرد ازديادها وحربها. فإذا كان من السار أن نتدفأ مثلاً عندما نشعر بالبرد، أو نشرب حين نشعر بالظمأ أو أن نأكل طعاماً أجيد طهيته، فليس في قيم السعادة ما يمنع الاستجابة لهذه المسرات. غير أن ثمة لذات إنسانية مثالية لا بد لنا من طلبها، وهي ترتبط بميول الإيثار. ومن تلك الميول الميل العقلي الذي يدفعنا إلى التفكير. وهذا هو مصدر الشعور بالكرامة الإنسانية.

ويلاحظ الدكتور العوّا أن هذا الميل الكريم قليل الانتشار بين الناس، إذا ما قيس بالميل الأنانية الحسية. ولكن من الثابت أن هذا الميل إلى الإيثار والفكر ينبذ الميول الأخرى (الحسية) في إتصافه بالديمومة والتنوّع. وهو مصدر عظيم لشعور الإنسان بالذات المعنوية بسهولة.

وهذه الذات كلها ترتبط بفكرتنا عن سمو الطبيعة الإنسانية. ومن المستحيل أن يتغافل الناس عن متع الكرامة الإنسانية والإيثار عندما يريدون تقدير أفضل ما يقود الناس إلى السعادة.

وبعد.. فهل يمكن أن يتمخض الزمن عن اكتشاف جديد يتمتع به بعض الناس أكثر من سواهم ليكون ما يشبه حاسة السعادة؟ ..

خمسون عاماً ما انطفأت

وليد حجار

لو تشعرون بما أكن وأضمر
ومحبتي بالقلب كيف تصور
لو تدركون، إذا القصيدة أقبلت
ماذا أحملها.. وكم هي أقدر
لو تعلمون إذا خلوت لعالمي
ما أسبغ به وما أسست
الحبب ما صورتها مشاعر
بالروح فيه طلاس لا تظهر
لا تسألوني كيف عشقت بناره
لا تسألوا.. إن الحقيقة أكرم
خمسون عاماً ما انطفأت بها ولا
أوهي الفؤاد تبذل وتغبر
مرت وتاريخي يسجل ما بها
خبر يشيع وآخر يتسخر
صفحاته الخضراء جذابة
بسطورها ما ازداد إلا الأحرار
الأربعون.. وقفت عند بلوغها
يوماً كهذا والشباب يزمجر
عشر مطبات ما بعد ذلك وانقضت
وكأنها في سير عمري أشهر
مازلت أكتصر السنين ورغبتني
فيها من الشهوات ما لا يحصر

فِي كُلِّ آوَنَةٍ يَطِيبُ لِي الْهُوَى
أَحْيَا كَمَا يَهُوَى الْمَزَاجُ وَيَأْمُرُ
هِيَ ذِي الطَّبِيعَةِ مَا تَغَيَّرَ سَيْرُهَا
وَكَذَا تَظَلُّ مَعَ الدَّهْرِ تَكْرَرُ
شَيْءٌ تَبَدَّلَ فِي مَسِيرَةِ رَحْلَتِي
لَا تَحْسَبُوهُ مَعَ الزَّمَانِ يُوَثِّرُ
أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ خَبْرَةً وَدِرَاسَةً
فِيمَا أَقُولُ عَنِ النِّسَاءِ وَأَخْبِرُ
كَمْ كُنْتُ أَجْهَلَ بِالْهُوَى، فَإِذَا أَنَا
بِالْحُبِّ صَاحِبُ مَنْهَجٍ وَمَقَرَّرِ
طَوْرَيْنِ عَشْتُ مَعَ النِّسَاءِ مَخْضَرْمَا
طَوْرَ الشَّبَابِ وَمَا بِهِ قَدْ طَوَّرُوا
حَتَّى انْتَقَلْتُ إِلَى الْمَشْيِيبِ وَلَمْ أَزَلْ
أَبْغِي الْمَزِيدَ، بِمَا أَحْسَنَ وَأَشْرَعَ
حَبْلِي لِهِنَّ يَزِيدُ كُلَّ عَشِيَّةٍ
لَا يَسْتَكِينُ وَلَا الْعَزِيمَةُ تَفْتَرُ
فِي الْأَرْبَعِينَ قَدْ اكْتَمَلَنَ إِثَارَةُ
طَابَ الْقَطَافِ وَذَابَ فِيهَا السَّكْرُ
هِيَ وَمُضَّةُ الْإِبْدَاعِ كَيْفَ أَرَدَهَا
مَنْ أَيْنَ يَأْتِي الْوَحْيُ حِينَ أَعْبَرَ
كَالْخَمْرِ عَتَقَهَا الزَّمَانُ بِحَانَتِهِ
فِي كُلِّ خَابِيَّةٍ يَجْسَدُ عِبْقَرُ
مَاذَا ارْتَشَفْتُ وَدَبَّ فِيَّ دَبِيبُهَا
بِعَوَالِمِي النُّشْوَى أَطُوفُ وَأَبْحُرُ
فَأَنَا اكْتَسَبْتُ مِنَ التَّجَارِبِ عَصْمَةَ
كَالْوَحْيِ تَرَشَّدَنِي، فَلَا أَتَسْهَوُ

أظـهـرت فـي دنيـا الجمـال مـفـاتنـا
الـبـوـح مـنـوع بـها ومـحـذـر
ما جـفَ نـبـيع كـان يـطـفـئ غـلـتي
إلا وأرـفـدت المشـاعـر أنـهـر
فأنـا المـعـلـم ما اسـتـعـنت بـحـجـة
إلا أتـيـت بـما يـفـوه مـفـكـر
والشـيـب جـاء يـلـفـنـي بوقـاره
فوجدتـه بـالروح لـيس يوقـر
مازلت أبـحـث والطـريق طويـلة
عـمـا يجـد مـن الفـنـون وينشـر
حتـى وصالـت إلـى القـناعـة واثقـاً
أنـي وجـدت ونلت ما أتصـور
أبقـى علـى قمـم الخيـال محـلـة
فكأنـي (هاروت) بـابل أسـحر
هـنـ النساء كـما وصفت بـحـبـة
تلك الحـقيـقة.. كيف فيـها أكـفـر
لا نفع يـرجـى إن عشـقت صـغـيرة
فأنـا الوحـيد مـن الصـغـيرة أنـفـر
ما عـدت أرغـب أن أطـارد ظبيـة
بدويـة الأطـوار لا تتحضـر
للوقـت مضيعة إذا جاملتـها
وإن اجـترأت فـإن ذلـك أخطـر
مثـل (الملـوح) لا أحقـق غايـة
أملـي يضيـع وخطوتـي تنقـهر
مـها بـدت عصريـة بدهائـها
عند التجـارب فنـها يتبـخر

رأسُ الحماقة، حين أعشق غادةً
ترضى وتغضبُ والوصال يكدر
تبقى مراهقة تقلد غيرها
أما الخبيرة.. كم تشير وتأسر
تعطيك ما تصبو إليه بلهفة
تبغى المزيّد إذا اعتراك تآخر
ماذا أقول وفي الفؤاد حقيبة
فيها حقائق ما أبوح وأستر
خمسون مسرت والخطيئة لم تزل
تبني قصوراً والصغائر تكبر
والناس ما برحت تلوك بسيرتي
وتزيّد فيها ما يشين وينكر
هم يمكنون إذا سمعت حديثهم
وأنا أكذب ما يقال وأمكر
مسهما أعدد فالشواهد جمّة
أن قلّوا في نشرها أو أكثروا
لن أسفيد وقد خلعت عباءتي
ورميتهما خلف السنين تشطر
خالفت قانون الحياة بثورة
فيها صهرت مبادئاً لا تصهر
الحبّ عندي ليس وفق عواطف
همجية الأمواج دوماً تهر
هو كالشقاء والربيع تقلبها
في كل مرحلة له ما يعذر
هو كاحتجاب الشمس عند غروبها
تأتيك فيما بعد لا تتأخر

والنفس بين غروبها وشروقها
هيهات يعرف ما تحس وتشعر
فالحب عند الناس غير شكلة
لعداوة بين النفوس تسير
ما للخيانة بالنفوس تربعت
تغزو ضمائرنا ولا نتذمر
إن ظل هذا الحب دون عقيدة
ومبادئ ندعو لها ونبشّر
لا بد أن تأتي النهاية نكسة
ففي درك واقعها المريع نبعثر
تعطي الحياة كما نحس ونشتهي
لكنها عند الكمال تقصر
فأعذر صديقك إن كبا في هفوة
واخلص له إن الصداقة جوهـر
كل ابن أنثى لا محالة ناقص
إن التجارب بالحياة تبصّر
فإذا امتحنت وخاب فألك مرة
في خوض تجربة وخانك معشر
أنت الكريم ولو أذوك بنارهم
فرمادها بعد الخمود يطهر
إن الخطيئة نحن كنه وجودها
من عهد (آدم) لم تزل هي عنصر
كل البحار إذا اغتسلت بمائها
تبغي الطهارة.. لا أظنك تظفر
كم من خبيث صار خادماً مسجداً
ومنافق خلف الإمام يزور
فتجنبوا غدر اللئام تجنبوا
من كان معدنُه الرخيص يؤجر

لولا اختلاف الناس فيما بينها
 ما كان طعام الحياة يفسد
 فاجمع أواسط ما تراه برحمة
 فيها الطريق إلى التعايش أيسر
 خمسون فيها ذقت كل حلاوة
 ما زلت بعد مضيتها أتأثر
 فإذا المواسم أقفرت في فترة
 أو غاب عن عين المولى منظر
 هزوا بجذع القلب يغدق فوقنا
 ما لذ من رطب تسر وتسكر
 عادت إلى العهد القديم نفوسنا
 نشدو ونرقص والمزاهر تنقر
 من كان أوله نقاء سريرة
 لا بد آخره يطرب ويثمر
 مضت السنين.. وقاربت أجلي بها
 نحو النهاية. كيف لا أتسمر
 يا هول ما فعلت يداي ضلالة
 وتجارتني كم صرت فيها أخسر
 كيف الرحيل وما حملت مؤونة
 عما ارتكبت من الذنوب تكفر
 يبقى من أتبع القناعة غانما
 أو كان في ساح المصائب يصبر
 سقيا لمن كشف الحقيقة أو رأى
 ما لا يرى عند الفراسة مبصر
 قوموا إلى الرحمن نسأل عفوه
 وعن الذنوب نتوب أو نسئ تغفر
 ما شاء ربك فليكن بقضائه
 أني بما يقضي علي سأشكر

دور الشعر

في النضال

الوطني

حتى نبيل

الاستقلال

في

سورية..؟!

بقلم:

محمد الزينو سلوم

كما هو واضح لنا جميعاً.. في أن
الاستقلال لجميع الشعوب ضرورة حتمية
ومصيرية لا بد منها لنيل حريتها والتخلص
من نير الاستعمار والتبعية له مهما كانت
دواعي ذلك.. والأمة العربية في الوطن
العربي الكبير بعد اجتياح السلطنة العثمانية
لأكثرها قرناً عديدة، هبت في نهاية القرون
التاسع عشر كالريح العاتية في روحها
القومية تطالب وتناضل بكافة الوسائل من
أجل استقلالها وحريتها..

انطلقت سورية بشعبها نتيجة
الوعي القومي كما ذكرت، واندفعت مطالبة
بالاستقلال والتحرر مثلها مثل الكثير من
الشعوب العربية الأخرى.. ولم ينفع العرب
وقوفهم إلى جانب العثمانيين في الحرب
العالمية الأولى ضد الحلفاء، وبدلاً من
مكافأتهم قام السفاح جمال باشا بإعدام أول
قافلة من قوافل الشهداء في ٢١ آب
١٩١٥م، ولما استمرت الحركة العربية في
النضال نفذ في ٦ أيار ١٩١٦ حكماً
بالإعدام في كل من دمشق وبيروت بقافلة
أخرى من الثوار منهم عبد الحميد
الزهرراوي، وشفيق العظم وآخرون.. كان
هؤلاء يرددون وهم في طريقهم إلى أعواد
المشانق:

نحن أبناء الألى

شادو مجدا وعلى

نسئل قحطان الأبى

جدا كل العرب

وهكذا استمر النضال هنا وهناك، وكان للشعب السوري أثر بارز في الثورة العربية الكبرى فيما بعد.. والتي قادها الشريف حسين، ولم تنته مرحلة الحكم العثماني حتى بدأت مرحلة الحلفاء بدءاً من عام ١٩١٩ م وعلى رأسهم فرنسا وإيطاليا في تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، ووضع الدول العربية التي كانت خاضعة للحكم العثماني تحت الانتداب، ثم تتالت الأزمات وجاء إنذار غورو ودخول القوات الفرنسية دمشق بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠، واستشهاد البطل يوسف العظمة، ثم تتالت الثورات في سورية مثل ثورة هنانو، وثورة الشيخ صالح العلي، وثورة جبل الدروز، وثورة حماه، وثورات المنطقة الشرقية بدءاً من ١٩١٩ - ١٩٢٨ وهي ثورة مسلحة، وبعدها جاء الكفاح السياسي من عام ١٩٢٨ - ١٩٤٣ حتى كان الاستقلال والجلاء الذي نحتفل بذكراه في كل عام..

أعود إلى موضوع البحث بعد هذه المقدمة لأقول: أن الشعب في سورية حاله حال العديد من الشعوب العربية، لم يعط الاستقلال وإنما أخذه بالقوة، ومن خلال النضال والكفاح المسلح وغير المسلح، وقدم قوافل الشهداء قرباناً على مذبحة الحرية.. وقد كان للأدباء وخاصة الشعراء منهم دوراً أساسياً في إشعال نار الثورات هنا وهناك طيلة هذه المرحلة من خلال الأناشيد والأغاني والقصائد الشعرية التي انطلقت كالزغاريد هنا وهناك.. ونظراً لعدم توثيق الكثير منها وخشية الضياع من

المفيد والضروري نشر البعض منها، ولو كانت غير كاملة، للتذكير بها كشاهد على ما قدمه الشعراء في أدب المقاومة في سورية حتى مرحلة الاستقلال.. منها ما قيل على لسان بعض الشعراء، ومنها ما قيل على لسان الثوار، ومنها على لسان المعلمين وهكذا تتوالى الزغاريد والأناشيد لنعزف ما قدمه الأجداد من قبل لنيل الأستقلال والحرية على كافة الأصعدة.. ومنها الأدبية.. وهي بالتالي نداء عام للجماهير والأدباء في سورية لتوثيق مثل هذه الأناشيد والأغاني والأشعار لتكون النبراس الذي يضيء الطريق للأجيال المقبلة خوف ضياعها في المستقبل.. وبالطبع فإن لكل نشيد مناسبتة، ولكل قصيدة شاعرها.. ولكن مع الأسف فليست المعلومات التي في يدي من وثائق "أناشيد وأغاني وأشعار" موثقة تماماً وبالتالي لا يمكن معرفة أصحابها بالشكل الدقيق، وهي مجرد نماذج تشكل مجموعها سيمفونية غناها الأجداد من خلال النضال والتضحيات التي قدّمت آنذاك.. فلكل نشيد أو أغنية أو مقطوعة شعرية مناسبتة وأسبابها.. وأولها ما قاله الثوار: يا ظلام السجن خيم.. إننا نهوى الظلام..

يوم الانتقام..!؟

إن هذا اليوم يوم الانتقام

فارفعوا الخطي واستلوا الحسام

أيها الكشاف بادر..!؟

أيها الكشاف بادر

وارتق أوج الغللى

أطلبِ المجدَ وفـاخـرَ
 كي تنـسـال المـأـمـلا..
 لا تراقـي للمعـالي
 دون جـدّ واجتـهـاد
 سرّ إلى أوج الكمال
 لتعشّ فيك البلاد..
إيه سورية الحبيبة..!؟
 نادى الأوطان هـيا
 نحو رايات الغلى
 واجعلوا الموت شهـيـا
 في سـبـيلـي أو لا..
 إلى أن يقول :
 ابذلوا الروح فداها
 لا تضنّوا بـثـمـن
 وادفعوا عنها عداها
 وارفعوا شأن الوطن..
أهلاً.. أهلاً..!؟
 أهلاً بمن ، أهلاً بمن
 قد طوّقونا بالمن
 فهكذا يا صاح من
 يسعى لإحياء الوطن..
 يا أيها المجد اتحد
 وبالمعارف اجتهد

عن جهله من لم يحذ
 يكن أسيراً للمحن..
الشهداء..!؟
 أبت المنايا أن تذوق المنايا
 والمنايا تغتال منا الكراما
 كم شهيد فوق التراب طريح
 ويتمى تلقى الردى والأيامى..
إيه يا ابن الغرب..!؟
 يا ابن الغرب ، يا ابن الأكرمين
 كنت في مجدك وضاء الجبين..
إلى أن يقول:
 من يحبّ الغرب أن يهوى الوطن
 يطلب العلم ولا يخشى الوهن
 إذ بغير العلم لا تمحى المحن
 فإلى أهل النهى، أهل الفطن..
 صغت قولي فلتجيبوا مُسرعين
الله محبّ نعهده..!؟
 العلم كشمسٍ مشرقة
 يهدي الإنسان وتُسعدُه
 إن ضلّ رفيقٌ ننصحه
 بلطيف القول ونرشدُه
 الحق قد ترانا نجهله
 والكذب عدوٌّ نطرده

والصدق مثال نورده

ونلاحظ بعد قراءة مثل هذه الأناشيد وتنوعها ومضامينها في أنها كانت تركز على التضحية وحب الوطن والتفاني من أجله وعلى نبذ الحقد والكذب وعلى طلب العلم، وعلى التذكير بالأمجاد الغابرة، وعلى الشهادة في سبيل الوطن، بصوت الأحرار والثوار والطلاب والكشافة.. بصوت الوطن الغالي لبذل العطاء والتضحيات لإغناء الروح الوطنية والقومية، عند الجماهير العربية، ومثل هذه الأناشيد يجدر بنا الاهتمام بها وحفظها نظرا لأهميتها كما ذكرت من قبل.. ولأنها منهجا للجماهير في عهد النضال العسكري والسياسي حتى نيل الإستقلال وجلاء المعتدي والمستعمر عن أرض الوطن..

يا ابن سورية تقدم

يا ابن سورية تقدم

واجني أثمار العلى

واستعد مجدا قديما

صار رهنا للبللى

طال وقت أنت فيه

خامل بين الملا

الشرق الأمين

يا حمى الشرق الأمين

لك في قلبي حنين

لك إخلاص مبین

وهوى الأوطان دين

عز قومي غاييتي

حسب أرض آيتي

فلترفف رايتي

ولها في اليمين

يا بلبل الأوطان

يا بلبل الأوطان

غرد على الأغصان

عهد الجفا عفا

والصفاء قد حان

قد زالت الأحزان

بالقنا والقضب

بالقنا والقضب

قام مجد العرب

راية العرب ارتقي

فوق هام الشهب

نشيد اليتيم

تلك أمي كففت خرط الدموع

ولأجلي حرمت طيب الهجوع

لم تجد شمس هنائي في سطوع

فقضت في ذمة الله القدير

بني الشرق

لنا وطن بأنفسنا نقيه

وبالدنيا العريضة نفتديه

إذا ما سيلت الأرواح فيه

بذلناها كأن لم نعط شيئا

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا

فليس وراءها للعز ركن

أليس لكم بذي الأوطان عدن

وكوثرها الذي يجري شهيا

رايتي

أنت كلي لا تكلي رفرفي

حول مجد قوضته النائبات

أفتدييه سائرا في ظلك

بسلام أو جهاد للعباد

سريمن الله

يا بني الأوطان جدوا بثبات

وامتطوا للعز متن الصافنات

فاخروا بالعقل دوما والنهي

لا بماض أو طول خاويات

واجعلوا دينكم حب الوطن

فلعمري حبه أسى الحيات

وادأبوا كي تسعدوه بالعمل

لا بأقوال فما قد فات فات

إلى أن يقول

جددوا عهد الولا والإتحاد

إن أردتم خير نصح ورشاد

لي ديني ولكم دين فلا

تهدموا بالدين أركان الوداد

شهد الله بأن الدين ما

كان يوما حائلا بين العباد

وإذا ما فرق الدين فيها

كلنا يجمعنا حب البلاد

نشيد الأمل

سائلوا عنا العصور الأولى

يوم فقنا الناس مجدا وعلا

يوم قدنا بالعوالي الدولا

سائلوا عنا بطون الكتب

سائلوا الشام ومصر والعراق

وسواها، سائلوا السبع الطباق

سائلوا الأسياف والسمر الرقاق

وسواها من رواسي الحسب

شعر الغندليب

سمعت شعرا للغندليب

تلأه فوق الغصن الرطب

والعيش لي فوق الغصون

لا في قصور أو حصون

أطير فيها، لفرط وجدي

من غصن ورد لغصن ورد

وفي فروع الأشجار بيتي

فالظل فوقني والزهر تحتي

وسل بشدوي زهر الرياض

إني بحكم الأزهار راضي
يا قوم إني خلقت حرا
لا أرضى إلا الفضل مقرا
فإن أردتم أن تؤنسوني
ففي المباني لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني
فاطلقوني، فاطلقوني!؟

درس، درس، درس

ساعات البسوح يرتبها
عقل، وتنظمها شمس
بالدرس بدأنا في كتب

درس، درس، درس، درس

شاهدت الشمس وقد طلعت

شاهدت الشمس وقد بزغت
فعجبت لمنظرها الحسن
فسألت الشمس لما طلعت
قالت: كيما تحيي وطني
ورأيت البدر وقد أشرق
فجلا ظلم الليل الدجن
فسألت البدر لمن يعشق
فشكى وبكى حب الوطن

شبوا على الخصم اللدود

شبوا على الخصم اللدود
نار الوغى، ذات الوقود
فما لنا في ذا الرقاد
من عاش ذلا، لا يسود
يا أيها العرب الكرام
إلى متى أنتم نيام
قوموا إلى الموت الزؤام
وامشوا له مشي الأسود
يا آل قحطان الأولى
المجد عاشوا والعلا
ما بالكم عدتم بلا
عز، أستم في الوجود؟

سير الكشاف

طاب لي التسيار ما بين الربى
ونفى عني شذاها النصب

علي أن يقول

لا ينال المجد إلا بالوئام
فاجمعوا الأمر وسيروا للأمام
لا تراعوا من خطوب أو محن
تتوالى كيما شاء الزمن

فرقة الطلاب

فرقة الطلاب لا تنوي سوى
أن تعيد اليوم مجدا ضيعا

بثبات واتحاد دائم

طالما بالمجد يرقى من سعى

إن وردنا منهل المجد فلن

نترك المنهل حتى نشبع

قد نوينا اليوم أن نحيا فلا

نرتضي غير الثريا موضعا

لا نبال بخطوب طالما

في ظلال المجد نسعى أجمعا

رثاء الملك فيصل

في ذمة الأوطان

والمجد يا فيصل

نم ناعم الوجدان

من مجدك الأمثل

نم مسـتريح البال

في الخلد يا فيصل

قد صبح العزم

قد حصص الحق لائق ولا زم

ولا عهد لكم يا قوم تحترم

إن العهد إذا لم ترعها دول

فالسيف يثبتها والحزم والهمم

فيم القعود على ضيم يراد بنا

وموطن العرب بين الغرب يُقتسم

لبلادي في فؤادي

لبلادي في فؤادي

نار وجد وشجون

أفتديها بتلادي

وأفيها باليمين

إننا قوم عرفنا

بين كل الكائنات

هامت الأرواح منا

في عناق المكرمات

عادة العرب الكرام

أن يجودوا بالنفوس

كي ينالوا في الوئام

رتبة فوق الشـموس

أرض الشام

لك يا أرض الشام

مهبط الوحي المجيد

من فؤاد مستهام

خالص الحب الأكيد

هاج في النفس حنينا

ذكر أيام الجدود

فجر الدمع سخيا

كالدما فوق الخدود

لغة العرب اذكريننا

واندبني ما فـات

كيف ننسـاك وفيـنا

نسـمات مـن حـياة

لك سورية السلامة

لك سـورية السـلامة

وسـلافا يا بـلادي

إن رمى الدهـر سـهامه

أتقيـها بـفـؤادي

فاسلمي في كل حين

الأخلاق الفاضلة

نعمن بنفسـي وأشـقـيـنـي

فيا ليتـهن ويـاليتـي

خلال نزلن بـخصب النفوس

فرويتـهن واظمـأنـي

تعودن فيـى إباء الكـريـم

وصبر الحليم وتيه الغـي

وعودتـهن نزول الخطـوب

فما ينثنـي وما أنثنـي

إذا ما لهوت بـليل الشـباب

أهين بعزمـي، فنتـهنـي

فمازلت أـمرح في قـدهـن

ويمرحن في بـروضة جنـي

إلى أن تولى زمان الشـباب

وأوشك عودي أن ينحنـي

فيا نفس إن كـنيتـي لا توقـفـي

بمعقود أمـرك فاستـبقـني

فهذي الفضيلة سـجن النفوس

وأنت الجديرة أن تسـجـني

فلا تسألني متى تنقـضـي

ليالي الإـسار فلا تحزنـي

يوم الروع

نحن يوم الروع أنصار الوطن

نبذل الأرواح من غير ثمن

هـمنا السـؤدد والذكر الحسن

لا نبالي بصـروف أو محـن

نتلقى البأس بالبأس الشديد

مرحبا بالموت في نيل العلى

حبذا الحمد لا سم بـذلا

من يحقق للبلاد الأملـا

ثم يقصف غـضه ريب البلا

فهو في الدنيا وفي الآخرة شهيد

نحن كالبنيان

نحن كالبنيان جسم واحد

كل فرد خـادم للمجتمـع

بقلوب من حديد وأمل

قد عرفنا أن نـال المقصدـا

وبأيد ذات بذل وعمل

قد شرعنا واستطبنا الموردا

فتاتي

نحن زهر العلم في روض العمل

نحن للأوطان غايات الأمل

لا تبالي يا فتاتي بالملل

واعلمي فالله يجزي العمل

وانهضي بالعلم تحيي الأملا

إن روض العلم يزهر

بفتاة وفتى

وبه يعلو ويسمو

فوق هام النيرات

وبه نعز ما بين الملا

هاج في النفس الشجن

هاج في النفس الشجن

طائر فوق فنن

يندب القوم وهم

في خمبول ووسن

يا بني العرب كفى

ما أتينا من محن

فاعقدوا نياتكم

ترفعوا شأن الوطن

حسبكم أن قد غدا

مجدكم يبكي الجدود

وينادي ويحكم

أرجعوا ماضي العهود

هذه الأمم

يا ذوي الهمم

عقدوها انتظم

فاشحذوا الهمم

واسلكوا نهج الصعود

هذي رؤوس الروابي

هذي رؤوس الروابي

أضحى يوارىها السحاب

والشمس كالتبر المذاب

فلنمش لا نخشى الصعاب

فلنسر

يا نشأة الشرق

هلي هلي هلي

يا نشأة الشرق

يا نشأة الشرق العلي

هلي واعلمي

للشرق كي يعتلي

في عصره المقبل

ويرى في المكان الأول

مصدر النور قديما أرضنا

والحضارات أقمننا ركنها

ملأ الدنيا جمالا فننا

فاستمدت كل دينا فنا

ها أجب داعي الوطن

هيا أجب داعي الوطن

واجعل له النفس فدا

فإن خير الناس من

يسعى لإحياء الوطن

هذا الوطن

عار علينا أن ننام

ونضيع مجدا لن يضام

هبوا ولو ذقنا الحمام

بالروح تغدي ذا الوطن

نشيد الوطن

وطن يرف هوى على شبابة

كالروض رفته على ريحانه

هو نظم حليته وجوهر عقده

والعقد قيمته يتيم جمانه

يرجو الربيع بهم ويأمل دوله

من حسنه ومن اعتدال زمانه

من غاب منهم لم يغب عن سمعه

وضميره وفؤاده ولسانه

ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى

والحر يصدق في هوى أوطانه

هيهات ينسى بذلهم وأرواحهم

في حفظ راحتته وجلب أمانه

يا مريض الشم الأسود..

يا مريض الشم الأسود

هل أقفرت منك الربوع

ما للعلی عنك تحيد

هلا لها فينا طلوع

يا مهبط العز التليد

يا هبة المجد الوطيد

يا هزة العرب الحماة

قد تألم خطب شديد

فاستعذبوا كأس المماة

فالحر خفاق البنود

هلا سمعتم من يصيح

المجد يصرخ بالبنين

من ذا يجيب ندا الجريح

أوهل قضى أسد العرين

إني فدا عز مشيد

وهكذا نجد من مضامين هذه المقطوعات الشعرية والأناشيد والأغاني مدى الدور النضالي المسلح والسياسي التي خاضته الجماهير العربية وخاصة في سورية الحبيبة.. وقد حفظها الصغار والشباب والكبار والثوار عن ظهر قلب، وكانوا يرددونها في مدارسهم وفي معانهم وفي مسيراتهم ومظاهراتهم العارمة، تعبيرا عن غضبهم وسخطهم على المستعمر الأجنبي، ولعلنا نحفظها نحن أيضا حرصا على وطننا وقوميتنا العربية التي تتعرض للغزو والعولمة من قبل مصاصي دماء الشعوب.. ليبقى الوطن صامدا كالطود في وجه المعتدين..

اخشع يا

زمان

نفثات

وطنية

وجدانية

بقلم :

غسان كلاس

منذ الغلاف المصمم بأناقة وشفافية
متناهية، ومروراً بتسع وعشرين قصيدة
سكنت فيها وداد طويل عبد النور ذوب
عواطفها ومشاعرها المرهفة، والتي سبقها
إهداء يختصر معانيها ويكرس قيمها
ويجسد أفكارها وألحانها الشجية، تستشعر
أنك تعيش في أجواء إنسانية وجدانية
سامية.. أجواء تخلق معها في ملكوت
علوي يطوي في أهابه حب الوطن ويختزن
في أعماقه الحب الخالص الذي يرتفع بك
مطاولاً عنان السماء بعلوها وسموها
وتألقها..

في (اخشع يا زمان) وهي
المجموعة الثانية لشاعرتنا المجيدة، بعد
رسائل حنين، يخشع قلبك وتهفو نفسك
أمام نسيج من الكلمات والجمال أحكم ربطها
بإتقان بالغ بعيد عن الصنعة، قريب من
الطبيعة التي تتوحد وتوق النفس، فتغدو
ألحاناً تسري في الأعماق تستثيرها
وتستفزها، في جانبها الوطني، وتشف
لتذوب فيها، وتذوب معها، في جانبها
الوجداني..

يحق لشاعرتنا الملتزمة بحب
دمشق، أن تهيم وجداً فتسجد فوق تربها
المعجون بالبطولات والأمجاد تقبله

وتمجده، ولم لا ودمشق كانت ومازالت
وستبقى مهوى الأفئدة وملتقى المحبين،
تزهو بقاسيونها وتشمخ بأبجديتها وتتيه
فخراً واعتزازاً بحضارتها وأوابدها:

فلولا الشام ما اخضلت كروم

ولا انساحت معتقة مدام

يحق لشاعرتنا أن تهيم بحب

دمشق، صانعة الحضارات، التي تهب الخير
من شرفة مجدها ليحملها إلى مرابع الأجداد
والخلان ليعم العالم، وتزدهي به البلدان
متوجاً بأكاليل الغار والفخار:

من جاوز الشمس إشراقاً ومعرفة

غير الأوائل من نجد وغسان

يحق لشاعرتنا أن تفخر بتشرين التحرير،
الذي رسم في قرص الشمس أمجاده
ومفاخره مستلهمة بطولات حطين
مستنهضة الهم لنجدة القدس السليب..

وتذرف الشاعرة دموعاً حرى على

بردى، وريد دمشق، ومنهل الخيل ونبع
الطيوب، الذي غاله الدهر الخوون؛ فجف
ماؤه وخبا رونقه وبات الصفصاف حزيناً
لحاله:

أين الربيع، لم الضفاف في حزن

غطى الضباب جبين الشمس واحتشدا

ويعتصر قلب الشاعر أسي لوفاة
قائد الشام الكبير، الخالد حافظ الأسد، رجل
المواقف والصمود، ولكن لا يلبث أن يشع
في جنبات نفسها الأمل بتولي الرئيس بشار
دفة القيادة:

ولن نخشى المصاعب إن أطلت

فأنت بنهج والدك التزام

ولا يقتصر التزام شاعرتنا في

حدود الوطنية، قطرياً، بل يتجاوزه لتعيش
فرحة تحرير الجنوب اللبناني فتتنظم قصيدة
تمجد من خلالها، بطولات رجال الجنوب
والتضحيات التي حققت الانتصار الكبير:

إن الشعوب إذا ما اشتد ساعدها

مهما استبد طغاة الأرض تنتصر

جرد حسامك (نصر الله) ثانية

القدس تكلى كذا الجولان ينتظر

ولا يفوتها، في الإطار نفسه، أن

تكبر، في قصيدة ثانية، ثورة الحجارة، التي
بات الطفل الفلسطيني وهج حروفها يغني
النضال على يديه ويغرد:

وليكتب الشعراء فوق ضريحه

طفل تأبى، لم يهن، فاستشهدا

وكما في قصائدها الوطنية، التي

تمتد لتسع الوطن العربي بأكمله، فهي في

وجدانياتها لا تقتصر على هدهدة رضيع
ومناغة طفل، بل تتبع على قصيدها السمة
الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من
معنى: تقدر الأم، وتقدر الزوج، وتبزر
مناقب الكبار، وتثني على المبدعين من
الأدباء والفنانين الذين يمنحون من فكرهم
وعواطفهم ومشاعرهم غذاء للروح يشفي
النفس ويسمو بها نحو العلاء.. فهي في
مناجاة الأم، التي تعطي الدفء من قلب
الصقيع، تتمنى على الزمان أن يخشع أمام
مثواها ويسفح الطيب ويروي التراب الذي
أواها، لأنها حيثما حطت خطاها ينبت
الزهر:

سرّها سر إله

خط في لوح القدر

كيفما امتدت يداها

فانهما ر الأقدوان

ذاك ســـــر الأم

فاخشع يا زمان

والزوج، الذي من وحي حبه

صاغت شعرها، ومن تحنانه داوت جرحها:

ألقيت ظلك في بيداء خافقتي

وما رضيت مدى عمري له بدلا

وفي تقديرها للأدب والفن تنظم

أكثر من قصيدة تؤكد - من خلالها - على

دورها المميز في صنع الحياة. تقول في

ختام قصيدة، أثناء تكريم خريستو نجم:

ويغزل الليل أقماراً ملونة
تبارك الشعر والإبداع والقلم
وتقول في قصيدة مهداة للفنان
عبد الرحمن جبقجي:

من أسكر الورد حتى ذاب من عبق

وفجر الآه في قلبي ووجداني

يا مبدع اللحن كيف اللحن تنسجه

أمن تعانق أنسام بريحان

أم شعلة الوحي قد سالت على وتر

تبارك الوحي في أوتار فنان

وفي الحفل التأسيني الذي أقيم

لمناسبة وفاة رئيسة النادي الأدبي النسائي

تعبّر بمنتهى الوفاء والإخلاص قائلة

يا قدوة خط الزمان بصدرها ألفي كتاب

يا زهرة ألقى الإله بثغرها الشهد المذاب

سواك من حلو الجنى كالخمر في كأس الشراب

كنت الثقافة والغنى والفكر والرأي الصواب

ولا أزعم أني أتيت - بمقالتني

هذه - على قلل المجموعة جميعها، وإنما

هي إضاءات على وجدانيات ووطنيات

ألمحنا إلى بعضها. وحسبي أن اختتم بتقريظ

الشاعر الكبير مدحة عكاش: وأرى أن

الشاعرة وداد طويل كلما أوغلت في دروب

الشعر تزداد صدقاً في عاطفتها وإرهافاً في

شعورها.. وشفح هذه العاطفة أسلوب

مشرق واضح يعتمد إشراقة العبارة سواء

كان وطنياً أو وجدانياً..

وقفه مع كتاب مساجد القيروان للدكتورة المهندسة نجوى عثمان

بقلم:

أحمد حسن الخميسي

لقد اهتم المسلمون ببناء المساجد وعمارته منذ صدر الإسلام، فكانت في بدايتها بسيطة لا زخرفة فيها، ولكن في العصر الأموي والعصر العباسي وما تلاهما، بدأ الخلفاء والأمراء يعتنون بالمساجد تشييداً وزخرفة وتجديداً، حتى غدت تلك المساجد روعة من ورائع الفن المعماري.

وما من مدينة فتحتها الجيش الإسلامي إلا وأسّس فيها الأمير مسجداً جامعاً، يكون منطلقاً للجهاد والدعوة، ومكاناً للعبادة وطلب العلم.

واشتهرت عدة مدن بمساجدها، مثل الجامع الأموي بدمشق، وجامع عقبة بن نافع، وجامع الزيتونة في القيروان في تونس وجامع الأزهر في القاهرة.

ولقد لفتت هذه المساجد أنظار العالم، فأما السّياح من كل مكان للإطلاع على ما فيها من رقي حضاري، وكتبت المؤلفات في تاريخها ومظهرها وبنائها وزخرفتها وماآذنها وقبابها، ودورها في حياة المسلمين.

فكتب الدكتور حسين مؤنس كتاب "المساجد" الذي أصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت ضمن سلسلة عالم المعرفة رقم ٣٧.

والفت عدة كتب عن الفن الإسلامي تحدثت عن المساجد، مثل كتاب (الفن الإسلامي) لعفيف بهنسي، طبعته دار

طلاس - دمشق - عام ١٩٨٧ م ، و
(موسوعة الفن الإسلامي) بثلاثة مجلدات
أصدرتها مؤسسة الوحدة في الكويت، وثمة
كتب أخرى تناولت المساجد مثل كتب
العمارة الإسلامية.

إن هذه الكتب وقفت عند المدن
الإسلامية ومساجدها وقلاعها، وأظهرت
بالمعلومات التاريخية الموثقة وبالصور
الموضحة القيمة الفنية والجمالية لهذه
المعالم الأثرية الخالدة، ومن الكتب الهامة
والفريدة في هذا الموضوع ما ألفته
الدكتورة المهندسة (نجوى عثمان) .

حيث صدر لها كتاب بعنوان
(مساجد القيروان) - دمشق - مطبعة دار
عكرمة عام /٢٠٠٠م/ وعدد صفحاته
١١٦ / صفحة.

قسمت المؤلفة الكتاب إلى ثلاثة
أقسام، القسم الأول عن التاريخ العمراني
لمدينة القيروان، والقسم الثاني قدمت فيه
دراسة تاريخية وهندسية لجوامع القيروان
وبدأت بالمساجد الثلاثة التالية: جامع عقبة
بن نافع (الجامع الأعظم) وجامع الزيتونة،
وجامع البايع (جامع الحنفي) ثم الجوامع
التي تلتها حتى العصر الحديث، وخصصت
القسم الثالث لوثائق جمعية الأوقاف
المتعلقة بالمساجد الجامعة والمساجد
الصغيرة، وموضوعات أخرى متنوعة،
وأثبتت في نهاية الكتاب ملحقات تغنيه
وتكمله، بالإضافة إلى ذلك ذكرت فهرس

للمصادر والمراجع والجداول والصور
والمخططات والوثائق، وفهرساً عاماً
للموضوعات.

إن الدكتورة المهندسة (نجوى
عثمان) نذرت نفسها لمثل هذه الدراسات
والبحوث، فقد نالت الماجستير بتاريخ
العلوم التطبيقية عام ١٩٩١ وموضوع
البحث (الهندسة الإنشائية في مساجد حلب)
ونالت الدكتوراه بتاريخ العلوم التطبيقية
عام ١٩٩٨، وموضوع البحث (دراسة
هندسية مقارنة بين مساجد حلب ومساجد
القيروان) ، وطبع لها كتاب الهندسة
الإنشائية في مساجد حلب - جامعة حلب
١٩٩٢ م وكتاب (حلب في مئة عام)
(١٨٥٠ - ١٩٥٠) في ٣ أجزاء - جامعة
حلب ١٩٩٣ .

وما إن انتهت من أعمالها هذه،
حتى توجهت من حلب في سورية إلى مدينة
القيروان في تونس لتكمل رحلتها مع
مساجد الوطن العربي ولتسجل لنا معلومات
ووثائق موضحة بالصور عن أهم المساجد
في المغرب العربي.

إن الباحثة لم تكتف بالنقل من
المراجع والإطلاع على المخطوطات، بل
عاينت القيروان ومساجدها عن قرب،
قالت عن ذلك في مقدمة الكتاب:

((قضيت شهراً أتجول في حومات
القيروان وأرباضها وأنهجها وأزقتها
وزنقاتها، وزرت جوامعها ومساجدها مرات

عديدة، وسجلت ملاحظاتي الهندسية حولها، وأخذت مقاييسات بعضها كنماذج، والتقطت الصور لعناصرها الهندسية المتميزة، فأنجزت بذلك الدراسة المبدئية للمساجد كلها التي بلغ عددها /١٢٣/ مسجداً واعتمدت في هذا كله على جهدي الشخصي، وعملت بمفردي بصمت وبشكل دائم ومستمر))

هذه الدراسة الميدانية، جعلت الكتاب يحتوي مضامين دقيقة في وصفه لتلك الآثار الخالدة التي بنيت في مدينة القيروان، وأضافت المؤلف لدراساتها الميدانية تاريخ المساجد حسب العصور التي مرت بها، وتضمن الكتاب تسعة عشر جدولاً في تاريخ المساجد وتطورها وخواصها الهندسية وغير ذلك من المعلومات، وتضمن مئة وثمان وأربعين صورة توضيحية للمساجد وما فيها وملحقاتها، وتضمن ستة وخمسين مخططاً هندسياً معمارياً لبناء المساجد وما فيها.

إن المؤلف اختارت مدينة القيروان بالذات لما لها من مكانة في نفوس المسلمين، فهي مدينة عربية إفريقية، أنشأها عقبة بن نافع عام ٥٠ هـ / ٦٧٠م، وبني فيها المسجد الجامع الذي سمي بسمه.

لقد اهتمت الكاتبة بمساجد القيروان فأفردت لها هذا الكتاب الذي يعد الأول من

نوعه، إذ إنه استقل بالكتابة عن مساجد القيروان كتابة ميدانية موثقة، تفيد المختصين وغير المختصين الذين يشدهم سمو الفن الإسلامي وروعته.

إن هذا الكتاب أغنى المكتبة التراثية العربية الإسلامية في هذا الجانب، فهو يتميز عن غيره بعدة ميزات منها:

١- أنه دراسة ميدانية قائمة على المعاينة والمقايسة.

٢- قد تضمن مخططات هندسية لا توجد في غيره.

٣- وتضمن مخططات وجداول بيانية وصوراً ملونة توضيحية.

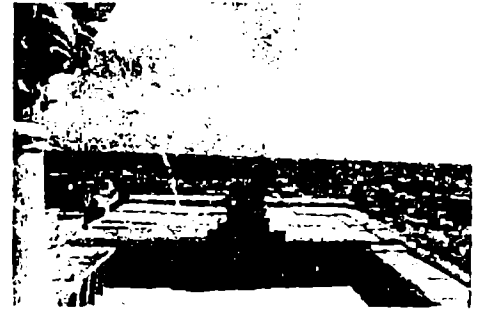
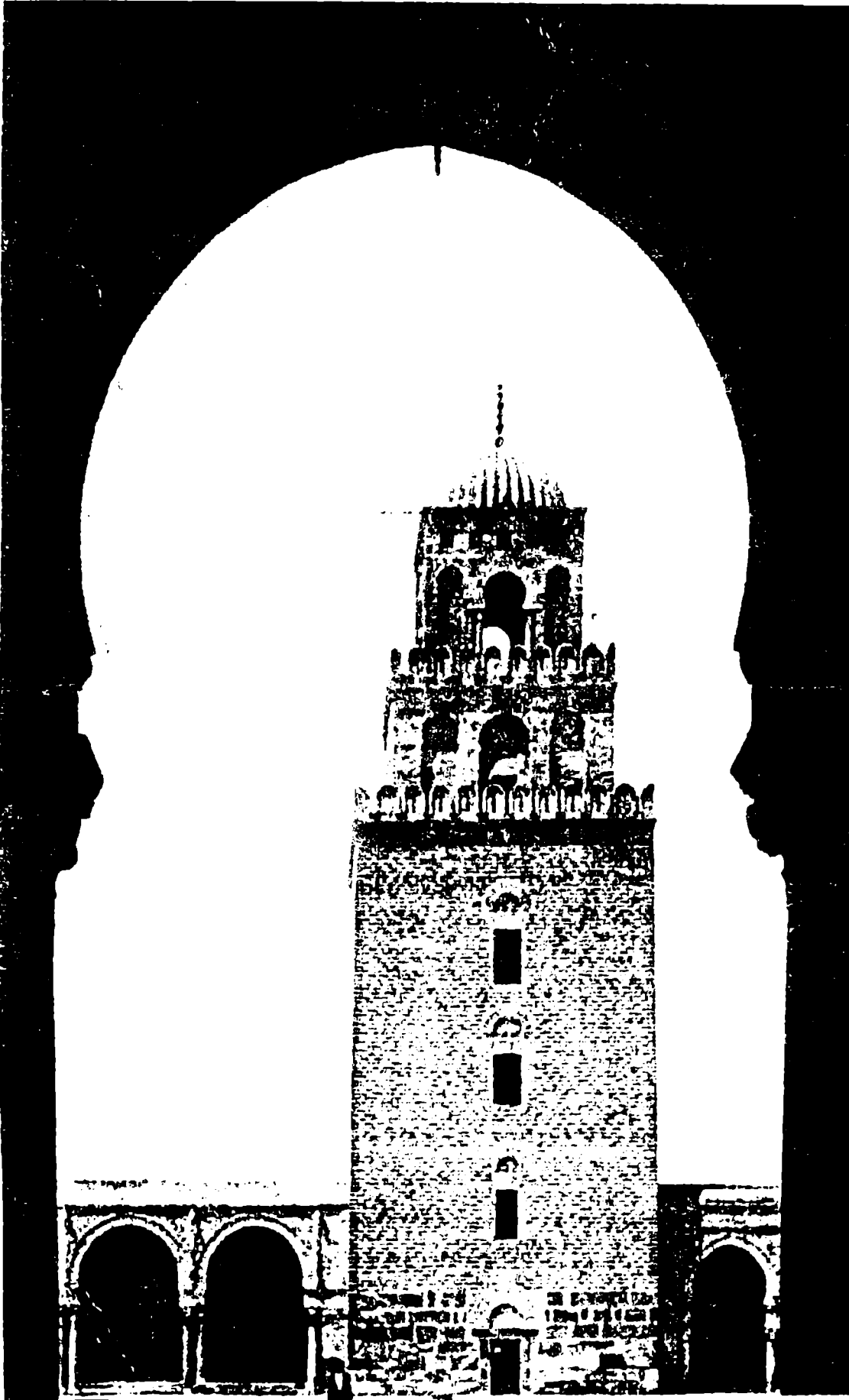
٤- يعتني الكتاب بالوصف الهندسي والجملة الإنشائية.

٥- أعد الكتاب بشكل منهجي فالمؤلفة عند الحديث عن مسجد من المساجد، تتبع الخطوات الرئيسية التالية: تقدم لمحة تاريخية عن المسجد، ثم تسلط الضوء على المسجد بشكل عام، ثم على أجزائه كالقبة والمحراب والمنبر والمنذنة وتتحدث عن السقوف والأقواس، وكل ما يتبع المسجد.

إن الكتاب يبرز عظمة الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية مما يجعلنا نفخر بأولئك العباقرة الذين أشادوا لنا حضارة مادية ومعنوية، يقف لها التاريخ إجلالاً واحتراماً.

مساجد القيروان

الدكتورة المهندسة
نجوى عثمان



الرشد في

المفهوم

الإسلامي

بقلم الباحث :

راتب عبد الواحد

وردت لفظة (رشد) مع مشتقاتها في القرآن الكريم تسع عشرة مرة، نحو قوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة/ ٢٥٦) ونحو قوله تعالى عن الكفار (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) (الأعراف/ ١٤٦) ونحو قوله تعالى يصف حالة القطيع التي وصل إليها قوم فرعون الطاغية: (فاتبعوا أمر فرعون، وما أمر فرعون برشيد) (هود/ ٩٧) وقوله تعالى على لسان سيدنا لوط (عليه السلام) مستغرباً من الحالة الظلامية والجاهلية التي وصل إليها قومه: (.. أليس منكم رجل رشيد) (هود/ ٧٨) .

التعريف بالرشد لغة:

جاء في القاموس المحيط عن ملادة (رشد) بمعنى : اهتدى، استرشد: طلب الرشد: فهو راشد ورشيد، وأرشده الله: أي هداه، وفي الحديث الشريف ((وإرشاد الضال) أي: هدايته الطريق. وفي الحديث أيضاً : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)) . والرشد: نقيض الغي، ورشد يرشد، رشداً: نقيض الضلال. قال تعالى: (لعلهم يرشدون) (البقرة/ ١٨٦) والإرشاد: الدلالة والهداية. والمرشد: الواعظ، والمرشد: المقاصد، بمعنى مقاصد الطرق. والأرشد: الأكثر رشاداً، ورشد ومرشد ورشيد ورشاد ورشدي: أسماء قلل الرسول (صلى الله عليه وآله) لرجل: ((ما اسمك؟ قال : غيَّان، فقال بل رشدان)) . وفي القرآن الكريم على لسان سيدنا موسى (عليه السلام): (ويا قوم

اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) (غافر/ ٣٨) :
 أي : أهدكم سبيل القصد، وهو سبيل الله عز وجل الذي يخرجكم عن سبيل فرعون، الذي فيه الضلال والضياع، وفيه الظلم والظلام! (وما أمر فرعون برشيد) (هود/ ٩٧) وقال بعضهم: الرشدُ أخصُّ من الرشدِ، فإن الرشد يُقال في الأمور الدنيوية والأخروية. والرشدُ يُقال في الأمور الأخروية لا غير. والراشد والرشيد يُقال فيهما جميعاً، قال تعالى: (أولئك هم الراشدون) (الحجرات/ ٧)

التعريف بالرشد اصطلاحاً:

الرشدُ: كمال العقل وسداد الرأي، أو الفعل، وحسن التصرف.
 قال تعالى: (فإن آنستم منها رشداً) (النساء/ ٦) . الرشد المؤنس من اليتم.

التعريف به في القانون:

هي السن التي إذا بلغها المرء استقل بتصرفاته.
 وفي الاقتصاد وترشيد الإنفاق :
 حسنُ القيام على المال وتوجيهه في خير سبيل.

من علامات الراشد:

- ١ - الحلم والأناة: توأمان ينتجهما علو الهمة.
- ٢ - الصبر عند المصائب وعدم الجزع في الشدائد.
- ٣ - التحلي بالأخلاق الفاضلة: كالصدق والأمانة والحياء والسخاء والكرم

والاستقامة . قال الإمام علي (رضي الله عنه) في نهج البلاغة: (التقى رئيس الأخلاق) !

- ٤ - القناعة وعدم الطمع بما في أيدي الناس (الزهد) .
- ٥ - العفاف والشكر، والورع عن محارم الله عز وجل.
- ٦ - التوكل على الله تعالى بعد التعقل في الأمور.
- ٧ - العفو عند المقدرة والإحسان للمسيئين الذين يستأهلون ذلك، لا اللئام! وصنع المعروف للعالمين.
- ٨ - الإنصاف والعدل والوسطية في كل الأمور.
- ٩ - نصرة الحق وأهله والوقوف بوجه الظلم وأهله.
- ١٠ - مصاحبة ذو الفضائل ومجالسة العلماء ومناقشة الحكماء وأهل الكمالات . قال الإمام علي (رضي الله عنه) لعامله الأشتر النخعي: يا أشتر أكثر من مجالسة العلماء ومناقشة الحكماء!!
- ١١ - الإيمان بالله تعالى والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية (فمن اهتدى بهدى الله أرشده) .
- ١٢ - حكيم في كل أموره وتصرفاته.
- ١٣ - المشورة والحوار ركنان أساسيان في حياته. يقول سيدنا علي: (في الاستشارة عين الهداية) .
- ١٤ - يتسع قلبه للرأي الآخر طالما صاحبه غاية الموضوعية والوصول إلى الحقيقة.
- ١٥ - يبحث دائماً عن الحقيقة وعن الخير ليسلك دربهما ويدل الآخرين إليهما.

١٦- يتفقد أحوال أرحامه، ويصل المقطوع منها، ويعينهم على مصائب الدهر، لأن صلة الرحم تدر النعم وتدفع النقم، وتنمي العدد، وتحرس النعم، وهي من أفضل شيم الكرام.

موقف الجن من الرشاد؟

إن الجن اعترفوا _ كما أورد القرآن الكريم _ أنهم قاصرون عن معرفة مراد الله بالنسبة لأهل الأرض من البشر ومن خلال هذا الاعتراف نستدل على أن أحد معاني الرشد هو الخير الذي بعكس الشر، قال تعالى: (وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) (الجن/١٠)

وكذلك الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أخبر أصحابه وأمته بأنه لا يضمن ولا يملك لهم الضر ولا الخير، لأنهما بيد الله عز وجل فهو النافع وهو الضار: (قل لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً) (الجن/٢١).

(وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) (يونس/١٠٧).

وأما الجن لما سمعوا آيات القرآن الكريم تتلى على لسان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بهرتهم آياته، واعترفوا بأنه يهدي إلى طريق الخير والصواب والحقيقة، قال تعالى مسجلاً هذا الاعتراف.. (..إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً) (الجن/٢) وأن الذي يسلم لله ويستسلم للحق باحثاً عن سبيله فهو الراشد الناضج

في عقله وتفكيره حيث يهمله ويشغله إدراك عاقبة أمره ومصيره وإلا ما أجهد نفسه بالبحث عن الحقيقة ولا سلك طريق الفلاح والنجاح (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) (الجن/١٤)

موقف الأنبياء والصالحين من

الرشاد؟

رغم أن سيدنا موسى (عليه السلام) كان عالماً ونبيّاً، إلا أنه شعر بنفسه أنه بحاجة إلى المزيد من العلم والخبرة وفهم سنن الأمور والإحاطة بعواقبها، لأنه فوق كل ذي علم عليم: (وفوق كل ذي علم عليم) (يوسف/٧٦) لذلك طلب من العبد الصالح - الخضر (عليه السلام) أن يعلمه المزيد مما عنده ويفتقده، لكن العبد الصالح كشف له أن ذلك يحتاج إلى سعة في الصبر عالية وأن موسى (عليه السلام) يفتقد ذلك، قال موسى (عليه السلام): (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) فقال الخضر (عليه السلام): (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً؟) (الكهف/٦٨)

أما الذي لا يبحث عن الحقيقة وينحرف عن طريق الله المستقيم ويترك الوسائل الموصلة إليه كالكتب السماوية والرسل والعقل والعلماء، ولا يتفكر بآيات الله في ملكوته ولا يتفكر بآيات الله في نفسه، فمن أين يحصل على الصواب والرشاد؟ (ومن يضل الله فلن تجد له ولياً مرشداً) (الكهف/١٧)

وقال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء
شاهد) (فصلت/ ٥٣)

وأما أصحاب الترف، وهم الفتية
الذين آمنوا بربهم وزدناهم هدى فكانوا
يدعون ربهم دائماً بقولهم: (ربنا آتنا من
لدىك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً)
(الكهف/ ١٠)

والداعي المؤمن لا يهتم هداية
نفسه ولا إصلاحها فحسب، بل يهتم إنقاذ
الناس من الفساد والفوضى والظلام إلى
طريق الاستقامة والسلام: وقال الذي آمن
يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
(غافر/ ٣٨)

وفي موضع آخر يبين الداعية
الراشد طريقه ناصحاً قومه: (وما أهدىكم
إلا سبيل الرشاد) (غافر/ ٢٩)

موقف الرسول من الرشد؟

قام الرسول (صلى الله عليه وآله)
بتعليم الناس وتربيتهم على الحكمة والرشد
من خلال تعليمهم للقرآن وأحكامه ومن
خلال حركته وممارساته ومواقفه وتجاربه،
لكن الصحابة الكرام لم يكونوا كلهم على
مستوى ذلك أولاً: لاختلاف العقول وثانياً:
لاختلاف الطبائع وثالثاً: لاختلاف الذكاء
ورابعاً: لاختلاف البيئة المحيطة بكل
صحابي وخامساً: لاختلاف الزمن بين
صحابي تقدم بالإيمان وسبق إلى الإسلام
وبين آخر تأخر في إسلامه وإيمانه لسبب
أو لآخر سادساً: لوجود تيار جاهلي
ومعادي يحرك ضعاف الإيمان والإسلام،
ويشوش عليهم دربهم وطريقهم وعلى
رأسهم المنافقين الذين قادوا حركة الردة أو

كانوا من تياراتها الأساسية المضادة
لتطبيق النهج الإسلامي وتجديره في
المجتمع بجميع أبعاده الثقافية والاقتصادية
والسياسية والقضائية والعلمية، ولكن هذا
لا يخلو من وجود أفراد من الصحابة الكرام
يعيشون حالة الرشد الإسلامي بأبعاده كافة
غير أن ذلك لم يكف لتكوين أمة راشدة
وهذه حقيقة ينبغي الاعتراف بها أولاً،
لتكوين مجتمع الرشد. إن وجود حاكم
راشدي لا يكف لانتاج مجتمع راشد، فلا بد
أن يكون العالم المسلم راشدي، وأن تكون
الأم المربية راشدة والمرأة والرجل
والطبيب والمهندس والتاجر والصناعي
والفلاح والطالب والعسكري والاقتصادي
راشدون.

لقد ترك الرسول (صلى الله عليه وآله)
وآله وسلم نهجاً راشداً متمثلاً بالقرآن
الكريم والسنة النبوية الشريفة (أقواله -
أفعاله - تقريراته) كما ترك نماذج إنسانية
فردية راشدة متمثلة بالخلفاء الأربعة (أبي
بكر وعمر وعثمان وعلي) وجميع آل البيت
عليهم السلام وهم (فاطمة الزهراء والحسن
والحسين) وبعض الصحابة الكرام (رضي
الله عنهم) أمثال (عمار بن ياسر وأبو ذر
الغفاري وأبو الدرداء وأنس بن كعب)، وفي
هذا المجال يشهد الرسول (صلى الله عليه
وآله) لأبي الدرداء بقوله: (إن لكل أمة
حكيماً، وحكيم هذه الأمة أبو الدرداء).

ويشهد لسيدنا عمار بن ياسر
بقول: (ابن سمية - عمار - ما عرض
عليه أمران قط إلا اختار أرحمهما)

وقد سُمي الخلفاء الأربعة
بالراشدين لأنهم كانوا يستشيرون قبل أن
يحكموا، أي يرجعون إلى أهل الرأي

والمشورة كالإمام علي (عليه السلام) وكل حكيم هو راشدي في طبعه!

والرسول أوصى المسلمين قبل وفاته بأن يلتزموا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وأوضح أنهم يتصفون بالهداية، حيث الهداية توصل إلى الحق وطريقه: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ).

وفي حديث آخر يقول الرسول: (تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي آل بيتي)

إن الضلال عكس الرشاد، والضلال يعني الانحراف والضياع، بينما الرشاد يعني الاستقامة والوعي والإدراك .
يعني أن يعرف الإنسان (ربه) ويعي (ذاته) ويدرك (ما حوله) ويبصر (عاقبة أمره) !

الرشد في عصر الخلفاء:

لكن المسلمين - وهذا من دواعي الأسف - لم يكونوا على مستوى هذا النهج الراشدي وهذه النماذج الراشدة، لذا نجد عقب وفاة الرسول بدأ نوع من النزاع السياسي بينهم حول الخلافة ثم جبر النزاع بحكمة من بعض الراشدين وإخلاص مفعم بالإيمان وشعور كبير بالمسؤولية من قبل آل البيت بلغ ذروته عندما قال الإمام علي (والله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين) إنها رؤية عميقة للواقع ولطبيعة الموقف. وحين بدأت حركة الردة حملت السيف ضد المواطنين فأفسدوا في الأرض فأضطرت الحكومة (الراشدية) للدفاع عن مواطنيها

من القتلة فحاربهم حتى قضت على شوكتهم، ويتميز عدم راشدية الأمة بأمر آخر هو حمل السيف ضد الشرعية الراشدة المتمثلة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) . إن تياراً إسلامياً كبيراً يمثل قطاعاً واسعاً في المجتمع الإسلامي الفتى لم يتجذر الإسلام في فكره وطبعه وممارسته، فكانت العصبية للعائلة والمصلحة الدنيوية هي السائدة، وليس للنهج الراشدي.

أخذ هذا التيار ينمو على حساب الراشدية فساد الاستبداد بفروعه المختلفة على مجريات المجتمع الإسلامي (قمة وقاعدة) ولكي يستمر خطه اتخذ الاستبداد السياسي والاقتصادي ثوباً دينياً (فقهاء السلاطين) ليبرر شرعيته، ويخفف من ظهور خطره على القاعدة الواسعة من الجماهير.

إنها تجربة صعبة مرّ بها المجتمع الإسلامي وعاشها المسلمون بعيداً عن روح الشورى وعن روح الراشدية.. ولكن يمكن توظيف هذه التجربة لصالح الحركة الإسلامية، فنتجاوز سلبياتها ونؤكد إيجابياتها ونطور هذه الإيجابيات من خلال التجارب الإنسانية الواسعة التي مرت بها جميع الأمم المتحضرة والخيرة، ومن خلال المخزون الفكري والثقافي لحكماء المسلمين وفقهائهم الكبار والأحرار. على مبدأ: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق؟!) (العنكبوت/ ٣٧) ومن خلال مبدأ التعاون: (وتعاونوا على البر والتقوى) ومبدأ الانفتاح: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) .

والحمد لله رب العالمين

سورية

الأوابد تحكي



والتاريخ .. يزهو

وزارة الإعلام
المؤسسة العربية للإعلان

سورة

التاريخ - الحصة
الجمالك - السابعة
تفتح ذراعيها لاستقبال
من كافة أنحاء المملكة

مع نخبات وزارة المعارف

طالعوا صباح

كل سبت

الثقافة الأسبوعية

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطحة عكاش

الجمهورية العربية السورية - برج دمشق - ضفة بردى - ط ٧ - رقم ١٨
ص. ب. ٢٥٧٠ - هاتف ٢٣٢٣٠٦١ - فاكس ٢٣٢٠٨٨٧

السعر : ٢٥ ل. س